سلسلة علامات الظهور

(٢)

حقيقة علامات الظهور

في أحاديث المعصومين عليهم السلام

سماحة السيد ياسين الموسوي

مؤسسة الحديث الشريف
دار بهجت الأمل

حقيقة علامات الظهور

في احاديث المعصومين عليهم السلام

مؤسسة الحديث الشريف

النجف الاشرف ـ شارع السور ـ مقابل جبل الحويش

Mobil: 07811779021- E-mail:mh85mhm@ yahoo.com

لبنان ـ طريق المطار نزلة العاملية تلفاكس: ٥٤٠٥١٦ /٠١

دار بهجت الأمل

سلسلة علامات الظهور

(٢)

حقيقة علامات الظهور

في احاديث المعصومين عليهم السلام

سماحة السيد ياسين الموسوي

مؤسسة الحديث الشريف

دار بهجت الأمل

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطاهرين واللعنة الدائمة على اعدائهم اجمعين.

اكمالا لما شرعنا به سابقا باملاء الحلول والمعالجات العلمية للإشكالات العقائدية والفكرية ودوافعها التي تكمن ورائها من الدواعي والمقتضيات السياسية والاجتماعية في القضية المهدوية المعاصرة فكانت هذه الحلقات الثمانية التي نشرت في الطبعة الاولى وارتأيت جمعها في الطبعة الثانية فكانت هي الرقم (٢) من (سلسلة علامات الظهور) وقد تحدثت

فيها عن موضوع التطبيقات المزاجية التي شاعت اخيرا بين الناس مما ولدت مشاكل كثيرة في العقيدة السياسية والاجتماعية مما دعت للاهتمام بها والتنبيه عليها ومعالجتها بشكل يتناسب مع حفظ الضوابط التي تراعي اصول البحث العلمي ولا تثير ما يمكننا ان نتنازع فيها مع الاخرين وكلي أمل بأني أديت شيئا من الواجب الشرعي في عصر الامتحان والفتن شاكرا لعزيزي الاستاذ المهندس عمار جبار جهوده الجليلة في اخراج هذه المجموعة ولولا روحه الكبيرة ومثابرته ومتابعته التي قل نظيرها في مرحلة حرجة نعيشها من تاريخ العراق الممتحن داعيا الله عز وجل له بالتوفيق والسداد ويجعل عاقبة أمرنا خيرا...

ياسين الموسوي
ليلة ٢٠ جمادي الاولى
١٤٣٥ هجري

كلمة مركز الدراسات العلمية في قضايا الحداثة والمشاكل الاعتقادية المعاصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين لا يخفى على الجميع أهمية الحاجة الماسّة لإشباع الساحة الثقافية بمناقشة ما يُلقى من شبهات ونظريات غريبة عن العقيدة الإسلامية الشيعية مما حفز على ضرورة التصدي فكرياً وثقافياً لتلك الشبهات وتفسيرها.

وقد لوحظ حالياً أنَّ العقيدة المهدوية قد أخذت حظها الأوفر من الأطروحات الغريبة والإستحسانات الذوقية العجيبة والإسقاطات الظنية للروايات على

مصاديق خارجية لشخصيّات وأماكن عصر الظهور وهذا ما رأيناه من بعض المُهتمين والباحثين في علامات الظهور الذين سلكوا منهجاً مُتعثراً في التعامل مع العقيدة المهدوية مما تطلب الأمر إلى ضرورة وضع منهج علمي سليم يوضح كيفية التعامل مع ما طُرِح من قِبَلِهِم في تحليل روايات علامات الظهور مُستمَد من القواعد الكليّة التي وضعها لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام والتي سار على نهجها مراجعنا الكرام أعلى الله مقامهم جيلاً بعد جيل وخصوصاً المرجعية الدينية العليا لسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله العالي) التي قالت كلمتها بوضوح أمام البدع والضلالات والإنحرافات التي ظهرت في بلادنا، فكسرت شوكة الضالين، وأصحاب البدع والمنحرفين وقد تطلّب ذلك منا إجراء جلسات

مع سماحة السيد ياسين الموسوي حفظه الله تعالى حيث بيّن في تلك الجلسات كيفية الدفاع عن العقيدة الحقّة وبيان الطريق والمنهج الصحيح في كيفية التعامل مع ما طُرح سابقاً ومع ما يُطرح حالياً ومستقبلاً وفق المنهج السليم المُحقق بين فقهاء الطائفة وضرورة نشر هذا المنهج وبثه في أوساطنا الثقافية الحالية كي يعي كل من يهتم بعلامات الظهور أن الفقهاء لم يتركوا المجال لكل من هبّ ودب أن يُعطي رأيه في العقيدة الحقة وملازماتها وهذا ما وضح في هذه السلسلة وهو التأكيد على ضرورة سلوك المنهج الصحيح في التعامل مع تلك الروايات وإرجاء تحليلها إلى قواعدها وأصولها الكلّية المحققة في علم الفقه وأصول الفقه وعلم الرجال وفق التوجيهات الصادرة عن المرجعية الدينية العليا في دعوتها إلى التثبت والركون إلى العلماء في

كل ما يتعلق في العقيدة بصورة عامّة والعقيدة المهدوية بصورة خاصّة وكان نتيجة هذه الجلسات هو صدور هذه السلسلة المتعلقة بخريطة الظهور وتطبيقات علامات الظهور ومناقشة البعض منها.

على أمل أن يُسعفنا الوقت في القريب العاجل أن نُكمل هذه السلسلة الصادرة بحلقاتها الثمانية بحلقاتٍ أخرى قد كُتِبَت وهي في طور الإعداد والتهيئة للطبع.

كما نرجوا أن نكون قد وفِقنا في هذا العمل لنيل رضى ولي الله الأعظم صاحب العصر والزمان أرواحنا وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء وأن تشملنا رعايته وألطافه عليه السلام.

ظهرت في الآونة الأخيرة كتب تتحدث عن سيرة الأحداث التي تكون عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام وبعد الظهور وحاول كتّابها أن يُوجِدوا خريطة

لتحركه بعد أن حاولوا أن يرسموا خريطة الأحداث الدولية والسياسية التي تسبق ظهوره، حتى إننا رأينا أن بعضهم يرسم خريطة للتحرك وتُنشر كمسلّمات لحركة الظهور.

فهل لهذه الخريطة مستند شرعي وعلمي؟

من المفروض أن يكون أولئك معتمدين على النص الديني الذي يقطعون بحديثه عن مثل تلك الأحداث.

خريطة
عصـــر الظهـــور

وبقراءة ما نقلوه من نصوص حاولوا أن يستندوا عليها وجدناهم أنهّم قد وقعوا بهفوتين أساسيتين:

الهفوة الأولى:

أنهّم إعتمدوا على روايات لا تصلح أكثرها للإعتماد عليها لأنّها فاقدة للشرعية، وذلك لاعتمادها على روايات العامّة الذين يكثر فيهم الوضّاع للحديث والكذّابون فضلاً عن المتهمين والضعفاء .

ولذلك كانت من أهم مصادرهم كتاب الفتن للمروزي والملاحم لإبن حّماد.

كما أن هناك بحثٌ علمي في مسألة سند تلك الأخبار فهل يُمكننا أن نُراعي فيها طريقة الفقهاء سلّمهم الله تعالى بضرورة الإعتماد على الأخبار المعتبرة فقط دون النظر في الأخبار الضعيفة؟

أم إننا يمكننا أن نعمل بالخبر الضعيف أيضاً جرياً

على القاعدة التي جوّزت العمل به في الأخبار التأريخية والسنن والمباحات وغيرها من الأمور التي لا تستلزم حُكماً شرعياً مُلزماً كالحرام والواجب عملاً بقواعد مسنونة في طرق الإستنباط منها قاعدة التسامح بأدلة السنن وقاعدة حديث (من بلغ)؟

ثُم أن هناك بحثٌ آخر يأتي ضمن هذا السياق وهو حُجّية العمل بخبر الثقة أو الواحد الثقة فإذا كان النص قد روي بطريقٍ صحيحٍ أو مُعتبر فهو حُجّةٌ شرعاً كما نص عليه الأصوليون من الفقهاء؛ ولكن هل تعني هذه الحُجّية صحة التنبؤ عن مستقبل الأحداث أم أنّ دائرة الحُجية للخبر تكون أضيق من ذلك فلا يُمكننا العمل بها بإعتبارها تتعلق بذمة المُكلفّ فتُلزمه عملاً أو تُبرئه دون شمول حالة تشخيص وضع المُكلّف أمام مُستقبل الأحداث.

ونعني بهذه القضية:

هو أن الخبر قد يكون صحيحاً سنداً ولكن ليس كُل خبر صحيح قد صدر فعلاً عن المعصومين عليهم السلام لإحتمال أن يكون الراوي قد أخطأ بنقله وهو إحتمال وارد في حق كل إنسان مُخبر وإن كان عدلاً ثقة كما يُحتمل دخول ظروف مُتعددة يكون الراوي قد أخطأ بنقله الخبر عن المعصوم والمعصوم عليه السلام لم يقله أصلاً ولهذا ترك الخبر الصحيح إذا كان متعارضاً مع مسلّمات عقائد الإمامية ودينهم وفقههم لأن الخبر الحُجَّة لا يعني صدوره من المعصوم (عليه السلام) قطعاً بلا لبس وإنّما معناه أنّ الخبر الحجة هو أن المكّلف مُلزمٌ به إمّا فعلاً أو تركاً لا أكثر ويبقى مجالٌ واسع للحديث عن فعلية صدور هذا الخبر عن المعصوم (عليه السلام).

وهنا في أحاديث علامات الظهور تأتي مسألةٌ أُخرى بالإضافة إلى ما تقدم وهي أن الروايات التي ذُكرت في علامات الظهور وبسندٍ صحيح قد تكون مشمولة بمسألة البداء الذي يدخل ضمن روايات إمكان حصول البداء في علامات الظهور كما وردت في جملة من الروايات الصحيحة.

وعليه فسوف تبقى جميع الروايات وحتى الصحيحة منها عاجزة عن رسم خريطة لمستقبل الأحداث التي تكون عند ظهوره وبعد ظهوره (عج) نعم يمكن لتلك الروايات أن تكون مُتحدثة عن تلك الأحداث على نحو الإحتمال وليست على نحو القطع كما شاهدناه وللأسف الشديد في تلك الكتابات التي حاولت خلق صورة لواقع أحداث قبل وبعد الظهور مترابطة بما تُشكل عند القارئ أن هذه الصورة هي

حقيقة ما سوف يحدث.

ومن هنا يأتي الإشكال الشرعي على هذا المنهج حيث أنّ الخطأ الديني ناشئٌ من القواعد العملية التي ذكرها علماؤنا في بحوثهم العلمية في علمي الدراية والرجال وأكدوا في علم أصول الفقه أن إسناد الحكم إلى الشارع المقّدس لابُدّ وأن يستند إلى حجة شرعية.

وإننا لم نجد لدعواهم حجة شرعية فإنّهم قد كونوا صورة إحتمالية لم تُذكر بهذا الشكل الذي يطرحوه في الروايات وإنما صنعوه هم من عند أنفسهم، فلذلك لا يجوز نسبة هذه الصورة وإسنادها إلى الشارع المقّدس.

فضلاً عن ما قلناه سابقاً من أنّ صحة سند الخبر ليس دليلاً على صحة صدوره بشكلٍ مطلق وإنما يدلُ صحة السند على الحُجية التي بمعنى ينجز الحكم إلزاماً

أو معذرّية للمكلف بترك ما قامت الحجة على تركه.

ثم ينطلق ضمن هذه الهفوة الحديث عن صحة الإعتماد على الأخبار الضعيفة والمعتبرة ومنها الصحيحة التي تتحدث عن قضايا التأريخ المنقضي فقد وجدنا سيرة علماء الإمامية على التسامح في أسانيد الأخبار والأحاديث التأريخية ويعتمدون عليها وإن رُويت بأسانيدٍ ضعيفة أو مُرسلة إذا كانت لا تتعارض مع المسلمّات الدينية والعقلية.

وقد رأيناهم يحتجّون بكثير من تلك الأخبار في مواقع الإحتجاج على مخالفيهم مع أنها قد تكون مروية بأسانيدٍ لا يرتضوها هم ولا يعولوا عليها ولكنها ممضاة بقاعدة (ألزموهم) الناصّة على إلزام الخصم بحجته ودعواه.

وهذا شيء يختلف كلياً عن الحديث لمستقبل

البشرية الذي سوف يكون قبل ظهور المهدي (عج) وبعد ظهوره لأننا نكوّن صورة دينية نسندها إلى المعصوم (عج) ولا ندري هل هو قالها أم لم يقلها ولذلك أفتى العلماء بحرمة نسبة شيء إلى المعصوم عليه السلام ما لم يصدر منه لأنه سوف يكون من التقوّل عليه، ويدخل ضمن أنواع الكذب على المعصومين عليهم السلام المحرّم.

وإذا قامت الحُجّة الشرعية للإسناد بوجود خبر مُسند صحيح الإسناد فإن هذه الحُجّية وكما قلنا سابقاً لا تُفيد أكثر من جواز إسناد مفاد الخبر ومؤداه، وهذا شيءٌ آخر هو غير الإعتقاد بأنّ هذا المفاد سوف يتحقق فعلاً ويكون فعلاً بإعتبار وجود البداء ووجود إمكان خطأ الراوي ومن هنا بالضبط ينطلق الفرق بين الحديث عن الماضي الذي قد وقع وتحقق . .

وبين الحديث عن المستقبل الذي لايُعلم أنه هل سيقع ويتحقق أم أنه سوف يكون للبداء فيه مجالٌ واسع.

كما قد يكون للرواة دخلٌ مقصودٌ أو غير مقصود في صحته أو عدم صحته نعم لا مانع من النظر في مثل تلك الأخبار الصحيحة والضعيفة بإعتبارها تفيد الإحتمال أو الظن بالوقوع دون الجزم بها من دون وجود قضايا يقينية تورث الجزم، فيكون التعامل بالخبر الضعيف والصحيح بمستوىً واحد والذي يقوي أحدها على الآخر مدى القرائن الحقيقة الخارجية عن الخبر.

وحينئذ فإننا سوف نجد هذه الأخبار تقع بمستوى واحد مع أخبار العّرافين والمُتنبئين في إفادة الإحتمال.

الهفوة الثانية:

أنهّم رسموا خريطة لأحداث قبل الظهور وبعد الظهور، والنقطة الأساسية التي نُلاحظها في هذا المجال أنه لا يُوجد خبر واحد صحيح أو ضعيف يتحدث بمثل هذا التسلسل المذكور في خرائطهم وهم يُصرّحون بهذا أيضاً ويفتخرون بأنَّ صُنع هذه الخريطة إنّما هو من إبتكارهم حيث جمَّعوا بين الأخبار خبر من هنا وخبر من هناك وحاولوا أن يكتشفوا المشترك بين الأخبار المتشتتة ويُوجدوا وحدة نسق بتقريبات إستحسنوها وإستقربوها فشكلتّ في أذهانهم الوحدة المتسلسلة من الأخبار.

١ ـ فمن المقطوع به عندنا وعندهم أنهّ لا توجد خريطة للأحداث بالشكل الذي يذكروه في أي رواية مستقلة.

٢ـ أن الخريطة هي من ابتكاراتهم وصُنعهم.

وهنا يأتي السؤال التالي:

هل أنّ هذه الأخبار كلها يمكن أن تُجمع ضمن خريطة واحدة ونسبتها حينئذ للمعصوم عليه السلام؟

الجواب: إننا نُلاحظ إن كُل خبر لوحده لم ينص إلا على حدثٍ أو أكثر فقط.

وحينئذ يجوز لنا بقاعدة جواز إسناد ما ثبتت حُجّيته إلى المعصوم عليه السلام أن ننسب ما ورد في الخبر إليه عليه السلام..

وهذا عمومٌ يُمكن أن نجريه ونُجربه ونستخدمه ونستفيد منه في جميع الأخبار الحُجّة، لأنه مفادٌ موجودٌ بالنص الصريح والصحيح.

أمّا ما لم يُعلّم بصدوره عن المعصوم عليه السلام فلا يجوز نسبته إلى المعصوم عليه السلام كما تقدم

بيان ذلك.

وقد صرّحوا هم بأنّ الخريطة التي رسموها لم تصدر من المعصومين عليهم السلام فكيف يُمكنهم أن ينسبوها إليهم عليهم السلام مع أنّها من محض خيالهم وتصوراتهم فضلاً عن مشكلة أخرى متداخلة مع هذه المشكلة وهي تطبيق بعض الأسماء والأحداث على أشخاص وحوداث قد تكون هنا وقد تكون هناك لوجود مشابهة ومقاربة بين الإسم هذا والإسم ذاك وبين هذا الحدث والحدث ذاك وهو منهج خاطيء مئة بالمئة.

تطبيقات
علامات الظهور
-١-

وجدنا في تاريخ التعامل مع الأحداث والشخوص الواردة في روايات علامات الظهور تفاعلاً ميدانياً من قِبَل المُعتقدين بها بإسقاطها على أحداثٍ وشخوصٍ إعتقدوا أنّها هي المقصودة في تلك الروايات؛ واستمرت هذه الحالة التفاعلية والتعامل الميداني في التأريخ الطويل في حياة المظلومين وقد وجدنا نوعين من التطبيقات:

النوع الأول منها: قد إهتمَّ بشخص الإمام المهدي (عج) وهي المرحلة الأولى من مراحل بروز هذه الظاهرة مثلما حاول بعض أتباع سيدنا زيد بن علي بن الحسين عليه السلام أن يُشخصّهُ هو المهدي الموعود (عج).. وكذلك ما ذهبت إليه العقيدة الكيسانية بإعتقاد أنّ سيدنا محمد بن الحنفية هو المهدي المنتظر .. وهكذا ما وجدناه في حياة الثوار

الذين إعتقدوا بأنّ محمد إبن عبد الله إبن الحسن إبن علي إبن أبي طالب عليهما السلام هو المهدي المقصود في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وهكذا إستمر التأويل والتطبيق وما زال عند الذين لم يعرفوا أن المهدي المنتظر هو الحُجّة بن الحسن العسكري عليهما السلام فقط.

ويشترك المتأولون السابقون مع المتأولين اللاحقين في الدوافع التي تكمن وراء هذا التأويل والتنصيص كما سوف نُلاحظهُ إنشاء الله تعالى.

والنوع الثاني من هذه التطبيقات: هو تطبيق الأحداث والشخوص على شخصيات وأحداث عاشها أو يعيشها بعض المظلومين، وقد إمتدت الفترة الزمنية لهذه الظاهرة قهقرائياً إلى حياة الأئمة عليهم السلام وقد وجدنا في بعض الروايات أن

هذه الظاهرة كانت موجودة عند بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام حينما حاولوا أن يطبقوا بعض شخصّيات الظهور على أشخاص وأحداث تكون في الظهور كما في قضية اليماني الذي جاء ذكره في الروايات الشريفة وأنه من شخوص أيام الظهور فقد روى الشيخ الطوسي بإسناده عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عليه السلام قال لما خرج طالب الحق قيل لأبي عبد الله عليه السلام نرجوا أن يكون هذا اليماني.

فقال: لا، اليماني يوالي علياً عليه السلام وهذا يبرأ[1].

فيظهر من هذه الرواية أن مسألة تطبيق شخوص أيام الظهور كانت موجودة في حياة أصحاب الأئمة عليهم السلام كما هو الحال في التطبيقات

(١) أمالي الطوسي ص٦٦١ المجلس ٣٥ الحديث ١٩.

التي ظهرت عند الناس المعتقدين بتلك القضايا في المراحل المتأخرة عن الحياة الإجتماعية للشيعة وهو ما نجده حالياً فيما قد ظهر في كتابات جماعة من المؤلفين المعاصرين.

وبغض النظر عن صحة تلك التطبيقات أو خطئها فإننا ولأجل أن نعرف القضايا هذه بواقعياتها فعلينا أن ندرس الدوافع المحفزة للقيام بمثل هذه التطبيقات.

وتنحصر هذه الدوافع بأمرين:

الأمر الأول : الدوافع غير السليمة التي مثالها حب السلطنة والحيازة على قلوب السُذّج من الشيعة بتقمص تلك الشخصيات التي تملك المحبة والقداسة في نفوسهم ولهذا وجدنا أنَّ هذه التطبيقات إنحصرت عند هؤلاء بالأسماء المحترمة والمقدسّة

كالحسني واليماني والخراساني فلم نجد أحداً إدعى أنه السفياني ومن هو على أضرابه من الشخصيات المذمومة ويدخل في هذا المجال أيضاً مُدّعي المهدوية أو السفارة والنيابة الخاصّة في عقود الغيبة الكبرى.

والأمر الثاني: يرجع إلى أصحاب النوايا الطيبة وما تفرضه عليهم ظروف الحرمان والكبت والظلم بإستعجال الظهور لأجل أن يتخلّصوا مما هم فيه، ولذلك نجدهم يتشبثون بكلِ أمارة وعلامة يُحتمل أن تنطبق على هذا الشخص أو ذاك وقد يأخذ التطرف حيّزه الكبير فيُصرّحوا بأنَّ هذا الحدث هو المقصود من الرواية الفلانية، وأنَّ هذا الشخص هو المقصود منه في الخبر الفلاني، ويرفضون أي أحتمال آخر يمس بالتصورات التي يقولون بها ويُحاولون أن يجمعوا ويُلملموا القرائن من هنا وهناك من أجل

إقناع الآخرين بصحة ما فرضوه من صورة.

ولا يمكننا أن ننكر أن بعض تلك التطبيقات وهي قليلة جداً صحيحة قد وقعت فعلاً ولكنَّ الكثير منها كان تطبيقاً خاطئاً وقد تبيّن في بُعد التأريخ عدم صحتها مما قد يؤثر سلباً على أصل المنهج، وقد يتداخل الإشكال في الأمل بالمستقبل مما قد يولد حالة اليأس من الإنفراج المأمول.

ولذلك فإنَّ هذ التطبيق فيه جنبة إيجابية وجنبة سلبية.

أما الجنبة الإيجابية: فإن إستخدام هذا الأسلوب قد يُقرِّب الأمل في النفوس، ويولد الحالة التفاؤلية المُنتظرة، ويُساهم في إحياء النشاط النفسي والعملي عند الإنسان المنتظر.

وأما الجنبة السلبية: فهي قد يُمكن تصويرها

على عدة أمثلة؛ منها أنها قد تشخص واقعاً غير صحيح ويَجعل الإنسان المُنتظِر يجري وراء سراب بقيعة يحسبه الظمأن ماءً حتى إذا جاءه لم يحسبه شيئاً فتذهب أتعابه سُدىً ويذهب عمره الذي قضاه بهذه التخرصات بلا فائدة ... ومن الأمثلة السلبية إعطاء المشروعية لأشخاص لا يملكون هذه المشروعية، وإضفاء قداسة على أشخاصٍ لا يملكوا هذه القداسة.. ومن الأمثلة أيضاً: تشكيك المُنتظرين بصحة تلك العلامات بعدما تبين الخطأ بالتطبيق... وقد يُصيبُ الإنسان الإحباط واليأس لعدم صحة التطبيق وما يترتب عليه من خمول واكتئاب... إضافة إلى سلبيات أُخرى كثيرة يُمكن للإنسان المتتبع أن يُحصلّها ويعرفها.

وهنا نتسائل هل أنَّ أهل البيت عليهم السلام

يرضون هذا السلوك التطبيقي؟

والجواب على هذه السؤال مُنحصرٌ بـ (نعم) أو (لا).

فإذا كان الجواب هو (نعم).

فيُقال حينئذ: فلماذا إذن ذكر أهل البيت عليهم السلام تلك الحوداث التي تكون قبل الظهور، وذكروا شخصيات الظهور على نحوٍ مُبهم مُحتمل التطبيق على وجوه مختلفة؟!

فإننا قد وجدنا جميع الروايات التي تكلّمت عن علامات الظهور وعن الشخصيات المهمة قبل وبعد الظهور بشكل مجمل قد غفل عن كل التفصيلات التي من خلالها يمكن التعرف على تلك الشخصية وذلك الحدث مما يكشف أنَّ عدم ذكر هذه التفصيلات كان مأخوذاً بعين الإعتبار خصوصاً أنَّ الشيعة الإمامية

يعتقدون أنَّ الأئمة عليهم السلام لا يُمكن أن يسهوا أو يغفلوا أو لا يحيطون بعلم ذلك الشيء الذي يُخبرون عنه لأنه يُخالف العصمة التي يؤمن بها الإمامية ويُثبتوها للمعصومين عليهم السلام.

كما أنّ الشيعة الإمامية يؤمنون بأنَّ الأئمة عليهم السلام لا يصدُر منهم القول إلاّ لحكمة لأنّهم عليهم السلام على رأس مقولة الآية الشريفة [وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ][٢]، وكلّ قولٍ بلا حكمة فهو لغو.

فكانت الحكمة من ذكرهم علامات الظهور مُبهمة أنها مقصودة بنفسها ومأخوذة بقانون الحكمة على ماهي عليه من الإجمال والإبهام.

ويعني هذا أن الأئمة عليهم السلام كانوا قصدوا في كلامهم من البداية أن يبقى كلامهم مجملاً كما هو إلى حين يأتي الزمان الإلهي وبشكل طبيعي لا

(٢) سورة المؤمنون / الآية٣

يحتاج إلى مؤنة وجهد تفسيري فتنكشف تلك المغاليق من وحدها وبشكل طبيعي ويعرف المنتظرون وعلى نحو ذاتي طبيعي واضح حقيقة ما قاله الأئمة عليهم السلام بدون أن يحتاجوا إلى من يُفسر لهم كلام الأئمة عليهم السلام ويطبقه على هذا الحدث أو ذاك.

ويمكن للإنسان أن يستعين بجملة من الروايات التي وضحّت هذا الأمر من الأئمة عليهم السلام لأصحابهم كرواية المفضل ابن عمر التي نقلها الشيخ النعماني في الغيبة وقد حدّثه الإمام الصادق عليه السلام عن آخر الزمان وما يجري فيه من أحداث وعندما أُشكل الأمر على المفضّل وهو الفقيه العارف بكلامهم عليهم السلام، وارتاب من إمكان معرفته هو نفسه ومقاومته لتلك الأحداث وخوفه من

الإلتباس الذي قد يصيبه في المستقبل لعدم حصوله على التفاصيل المطمئنة للتطبيق مما هاله الأمر فأحسَّ بالصعوبة التي تخرج منها الأرواح فإنَّ الإمام عليه السلام لم يستجيب لما يُريدُه المُفضل ولم يذكر له شيئاً عن تلك التفاصيل وإنما أبقى المسألة على نفس ما طرحهُ وبيّنه ولكن بزيادة واحدة فقط خارجة عن التفصيل والبيان ومؤكدة إلى أنَّ هذه الحقائق لهذه القضايا سوف تكون واضحة جداً في حينها وإن كانت مُلتبسة وغير واضحة قبل أن يحين حينها ولذلك أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى كوة في الدار قد دخل منها الشمس فقال للمُفضل بأنه يرى الشمس فقال الإمام عليه السلام إن أمرنا أبين من هذا.

وهذا النص واضح الدلالة على أن مسألة

الإجمال قد أُخذت مقصودة في كلامهم عليهم السلام ويبقى الإجمال إجمالاً إلى يوم ظهور حقيقة القضية أو الشخص الذي أخبر عنه الإمام عليه السلام.

ولازم هذا الكلام أنه لا يحق لأحد أن يُدخل أنفه بما لا يعنيه ويكون بديلاً عن المعصومين عليهم السلام ويُشغل نفسه بما لا يعنيه فإنَّ السلوك لمحاولة إيجاد القرائن والتطبيق يتناقض كُلياً مع منهج الأئمة عليهم السلام في إبقاء الأمر لغزاً.

أمّا لماذا قام الأئمة عليهم السلام بهذه الطريقة اللُغزية فهي من أسرارهم عليهم السلام ومن أسرار الغيبة التي هي سرٌ في سر كما جاء في روايات بيان سبب الغيبة.

وإذا كان الجواب في السؤال المتقدم بـ (لا)

فهو ما حققناه قبل قليل وبيناه ومعناه الأكيد عدم صحة السلوك المتقدم ولا نريد هنا أن نُبيّن حُرمة هذه الطريقة فإنّ الكلام هنا هو على جانب الصحّة بمعناها الأعم بما يُقابل الخطأ بغض النظر عن التكليف الشرعي لأن الذي يُحدد تكليف المُكلّف إما هو الدليل أو من يرجع إليه بالتقليد.

ويُمكن أن نوضح المسألة بأنَّ نسبة أي حكم إلى الشارع المقدس لا يمكنها أن تتجاوز كون تلك الأحكام قد صح صدورها عنه؛ بمعنى: إننا عندما نريد أن نُثبت أن الشارع المقدّس رأى موضوع ما أو مسألة ما فإن هذه النسبة لابُدّ أن تكون نسبة صادقة وهي فعلاً صادرة منه وأما إذا لم تكن منه فلا يُمكننا أن ننسبها إليه.

وهذه القضية مُستندة إلى منهج أهل البيت

عليهم السلام بحرمة العمل والفتوى بالرأي والتفسير بالرأي ومنه ما يُسمى في علم أصول الفقه بالإستحسان وكذلك ما يُسمى بالمصالح المرسلة.

وفي مسألتنا هذه عندما يُحاول بعض الكتّاب والمحدّثين أن يتكلموا عن بعض كما جاء في الأخبار والروايات بذكر الأحداث والأشخاص وتطبيقهم على قضايا وأُناس يتصورون أنهّم هم المقصودين فيها؛ فهل أنَّ هذا الرأي مُستند إلى رواية - وإن كانت ضعيفة - أم أنَّ هذا الرأي إنما هو رأي شخصي واستحسان ذوقي لا يستند إلى أي مصدر من مصادر الصدور الشرعي من الكتاب أو السنة المطهرة.

فإذا أجابنا أولئك المؤلفون والمتحدّثون بأنَّ هذا الكلام موجود بالروايات .

فإننا نسألهم في أي تلك الروايات؟ فيجُيبونا

بأننا نعتمد على تحليلنا لتلك الروايات العامّة (المُبهمة) ويُمكننا أن نستعين بقرائن أخرى لنكشف هذا المُبهم، ونوضح هذا الخفي فيُجاب عليهم هل أنَّ هذه النتائج التي توصلتم إليها موجودة في الروايات وإن كانت ضعيفة سنداً؛ أم أنَّ ما توصلتم إليه من تحليلات ونتائج غير موجودة في الروايات ... وإن كان ما توصلتم إليه من نتائج وتحليلات موجوداً في الروايات لما كان لكم قصب السبق ، ولما صح أن نُسمّيها بأنها نتائج تحليلاتكم؟

فمن الطبيعي سوف نجدهم يقولون بأنَّ هذه النتائج التي توصلنا إليها بجهدنا وبحثنا فيُقال حيئذن لهم إذن هذا هو من آرائكم ويدخل تحت عنوان القول بالرأي ؛ وهنا يأتي الكلام بأنَّ القول ، القول بالرأي في هذه المسألة يقع على نحوين:

١ ـ أن تنسب هذه التفسيرات إلى الشريعة والدين بحيث لا يوجد فاصل وفارق بين المقالات الدينية ومقالاتها، وتتدخل مسائلها في قضايا الدين.

٢ـ وحينئذ فإنه مما لا إشكال فيه أنَّ هذه المسألة سوف تدخل تحت عنوان القول بالرأي ونسبة مالم يقوله المعصومين إلى المعصومين فإنَّ المعصوم عليه السلام لم يقل هذا كما صرّحوا هم بذلك ومع ذلك فإنهم ينسبون هذا الرأي الذي لم يقله المعصوم عليه السلام إلى المعصوم عليه السلام.

وإذا قال بعضهم أنَّ هذا الذي فعلناه ونفعله من قبيل ما يفعله المجتهدون فإنَّ الشريعة المقدّسة قد جاءت على لسان المعصومين عليهم السلام على شكل كلّيات عامّة وقواعد وأنَّ المجتهد يستنبط من تلك القواعد القول في القضايا الجزئية والتطبيقات؛

وكما يُمكن للمجتهدين أن يستفيدوا من القاعدة التي ذكرها الأئمة عليهم السلام، (علينا التأصيل وعليكم التفريع) فحينئذ يُمكننا أن نقوم بمثل هذا الدور في مسائل قضايا الظهور.

وربما نستشعر مثل هذا التوجه والتطرف عند بعض الكتّاب في عمله التنظيري في مسائل الظهور وإن لم يُصرّح به نصاً.

ولكن في المسألة أكثرمن إشكال ويدخل بعض الإشكالات في الجانب الكبروي، كما يدخل بعض الإشكال في الجانب الصغروي؟

وأما الجانب الكبروي: فهو هل أنَّ المنهج الإستنباطي في المسائل الشرعية يصح إستخدامه في مسائل علامات الظهور؟

وأنّ هناك فارقٌ كلي بين المسائل التي يستنبطها

الفقيه من مصادر التشريع المقدّس في المسائل الفقهية الإبتلائية وغيرها بإعتبارها فتاوى تُحدد الموقف العملي للمكلف بينما مسائل علامات الظهور لم يكن الغرض منها مُتعلّقاً منها في تكليف المكلف وإنما هي أحاديثٌ عن المستقبل وهل سوف تقع تلك الأحداث أو لم تقع.

نعم قد تستلزم بعض النتائج معرفة تكليف المكلّف في بعض النتائج التي تطرح بهذا الخصوص ومن المقطوع به أنَّ هذه القضية سوف لا تدخل تحت عنوان علامات ومسائل الظهور وتخرج عن إختصاص أولئك المؤلفين والكتّاب وتنحصر معرفة الجواب بالرجوع إلى المجتهدين القادرين على إستنباط تلك المعارف الإلهية من الطرق الموضحة في علمي الفقه والأصول.

وأما صغروياً: فما وجدناه عند بعض الكتّاب عندما يحشر أنفه في المسائل الأصولية والرجالية ويتصور أنه من أهل هذه المَلَكة والقدرة الإستنباطية لأنه يستطيع أن يراجع مثلاً موسوعة معجم الرجال لسيدنا الخوئي (قدس سره) فيقول بأنَّ الراوي الفلاني ثقة أو غير ثقة والرواية صحيحة سنداً أو موثقة.

وقد يتطاول على مقدرات هذه الملكة فيتصور أنَّ له حق الإبداء بالرأي كالسيد الخوئي (قدس سره) بل ويخالفه معتمداً على اعتداده بالنفس.

كما أنه يُغريه في إسترساله هذا عدم معرفته بأنَّ المسائل الرجالية لها ضوابط على الإنسان المجتهد أن يكون لديه الملكة في معرفة هذه الضوابط من خلال تحقق ملكته بمعرفة المسائل الأصولية والإستنباطية

وذلك بأن يدرس مسائل الفقه والأصول في الحوزة ويتدرج في درسها وتدريسها ومباحثتها إلى أن يصل إلى مرتبة الفضل وبعدها يوفق بظهور الملكة عنده ثم بإستمرار إشتغالاته العلمية تتركز هذه الملكة ويستطيع أن يستفيد منها في مجالات أخرى غير الفقه والأصول مثل دخوله في فهم روايات الظهور وهذا الأمر لا يتحقق بمجرد أن يدعي الإنسان أنه قادر عليه، كما أنه لا يتحقق بمجرد أنه يتعلم بعض الإصطلاحات العلمية وإنما يحتاج إلى إشتغال علمي حوزوي يوصله إلى هذا المستوى وأتذكر قصة جرت مع المرحوم آية الله العظمى الإمام السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) حيث كان يجلس في كل يوم لا سيما يوم الجمعة مجلساً عاماً لمدة ساعة في (برانية) يستقبل العلماء وطلبة العلوم الدينية

والناس بمختلف مستوياتهم ويجيب على مختلف الأسئلة الدينية التي تقدم له بانشراح صدر ومحبة.

وفي أحد أيام الجمعة جاءه أحد الشيوخ من طلاب العلوم الدينية وهو من أهالي الكاظمية المقدسة الذي كان يدرس في النجف الأشرف ويرتبط بجهة دينية في الكاظمية المقدسة كانت لها أراؤها ومعتقداتها الخاصة بها ومن جملة أرائها أنها تقول بوجوب صلاة الجمعة ظهر يوم الجمعة تعيّناً ويشددون على هذه المسألة بشكل كبير تميزوا بها عن باقي الشيعة بحيث أصبح مقياسهم الديني هو إقامة هذه الشعيرة.

وكعادتهم فإن هذا الشيخ (ولا أحب أن أذكر إسمه لأسباب دينية) قد جاء مع مجموعة من أصحابه إلى السيد الشهيد وبعد أن إستقر بهم المقام توجه

الشيخ المذكور إلى سيدنا الشهيد بالسؤال المتكرر هل أن صلاة الجمعة واجبة أم لا ؟ ولماذا لا تقومون بإقامتها؟ فأجاب سيدنا برأيه الفقهي بأنها لو أُقيمت بشروطها الفقهية وجب الحضور إليها فأجابه الشيخ بأن الآية إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله تنص على الوجوب.

حينئذ حاول سيدنا الشهيد أن يوضح مدلول الآية وأنه لا نص فيها على ذلك ولكن الشيخ حاول على طرقهم أن يجيب بما حفظه من شيوخ نِحلَته من التهويلات والتشدقات مما أثار السيد الشهيد فتوجه إلى الشيخ سائلاً: شيخنا ماذا تدرسون؟ فأجابه الشيخ أدرس لمعة فقال السيد الشهيد إذا أكملت دراسة اللمُعة بعد عدة سنوات سوف تبدأ بدراسة كتاب المكاسب وبعدما تقضي عدة سنوات بدراسته فسوف

تدخل البحث الخارج وبعدما تقضي عدة سنوات في البحث الخارج يُمكنك حينئذ أن تفهم الدليل وتناقش فيه ثم سكت السيد الصدر (قدس سره) فخيم على المجلس السكون وكأنّ على رأسهم الطير فلم يُجب الشيخ ولا أحد من أقرانه الذين معه وسكتوا.

فإنَّ قضية حصول الملكة ليست بالسهلة اليسيرة التي يُمكن لكل أحد يدعيها أو يحاول أن يتقمصها وإن لم يكن يجرأ على ادعائها.

تطبيقات
علامات الظهور
-٢-

عدم سلوك الطريق العلمي لمعرفة الحقائق الدينية يؤدي إلى الضياع بعد التوصل إلى نتائج خاطئة والطريق الصحيح للوصول إلى الحقائق الدينية هو طريق السلف الصالح من علمائنا وفقهائنا في تعاملهم مع روايات أهل البيت عليهم السلام فإنهم قد أخذوا وعملوا ببعض ماوصل إليهم من تلك الروايات كما أنهم تركوا البعض الآخر منها ، وقد وجدناهم أولوا بعض الأخبار بتأويلات بعيدة عن ما يُستظهر منها فقد تركوا ذلك الظاهر لأنه يُخالف مُسلمَات الإمامية في العقيدة أو في الفقه أو في التأريخ أو لأن ذلك الظاهر يتعارض مع روايات هي الأصح عندهم أو عند هذا الفقيه أو عند ذلك الفقيه.

وغير ذلك من الأسباب التي تكون وتشكل جزءاً من طريقة العلماء الأعلام زاد الله تعالى شرفهم في

معرفة الحقيقة الشيعية.

ويخال بعض المتطفلين من الشيعة أنَّ إختيار العالم الفلاني هذه الرواية وتركه لتلك الرواية وتأويله للرواية الأخرى إنما نشأ من ذوق الفقيه ورأيه الشخصي دون أن يُراعى قواعداً كلية علمية ثابتة مما قد يُجرأ هؤلاء المتطفلين فيرُيدوا أن يُحاكموا الفقهاء الأعلام فيقيّموا ويتلبسوا بلباس الحاكمية على الدين فيقبلوا هذه الرواية ويتركوا هذه الرواية ويُأولوا الرواية الأخرى نظراً لأرائهم الشخصية بينما نجد أنَّ دين الإمامية سلمّهم الله تعالى مَبني على قواعد علمية ثابتة مُبَرْهَن عليها بالأدلة القطعية والحُجج المُنجَزة يستخدمها الفقيه بفقاهته لا برأيه الشخصي وتصوراته لمعرفة المسألة الدينية بشكل عام والشيعية بشكل خاص وهو يعلم بشكل جازم وواضح أنَّ الشيعة الإمامية يُحرّمون

بالإجماع من عهود الأئمة عليهم السلام العمل بالرأي والمقاييس والاستحسان وما إلى ذلك.

فإنَّ همَّ الفقيه الوحيد هو معرفة مشيئة الله تبارك وتعالى التي أنزلها للنبي صلى الله عليه وآله وجائتنا بطرق سادتنا وموالينا الائمة المعصومين عليهم السلام وإن خالفت نتيجة ما يتوصل إليه الفقيه من البحث والنظر هواه ورأيه الشخصي ومصلحته الذاتية لأن مُبتغاه هو أن يصل إلى الحُكم الإلهي وإن كان بطريقٍ ظني شرعي لإمضاء الشارع المقدّس لهذا الظن المخصوص كحُجية خبر الواحد الثقة.

بينما نجد اتباع الهوى والمتطفلين على فقه آل محمد عليهم السلام وتأريخهم وحديثهم لا يُراعون شيئاً من هذه القواعد والأسُس ولا يهتمون بها لأنهم لا يروا في الواقع إلاّ أنَّ الدين ما يرونه هم والصحيح

ما توصلوا إليه هم بأرائهم وأفكارهم لأنهم ألعوبة بيد إبليس الذي ذكر في القرآن الكريم (وأريكم ما أرى) فسوّل لهم أن ما يرونه هو رأي في الدين ورأيُ الله لأنه إبليس نفسه قد وقع في هذه المتاهة في بداية عصيانه عندما رفض السجود بأمر الله لأدّم وقد جاء في الأثر أنه طلب من الله سبحانه وتعالى أن يعفيه من هذه السجدة وأن يسجد له سجدة لم يسجدها له أحدٌ من العالمين وجاء له الجواب أعبدني كما أريد لا كما تريد ونُلاحظ على هؤلاء المتطفلين المتأولين لبعض نصوص علامات الظهور أنهم ينحرفون عن الإرادة الإلهية في أحايين كثيرة لورود إستحسانات لفظية أو تشابهات بالأمكنة الوارد ذكرها في بعض الروايات دون لحاظ القضية ككل كما وردت في النصوص الشريفة.

ولهذه التأولات جولات خاضها بعض أولئك

بتأويلاتهم السمجة منها من قبيل المثال مؤكدين أن هذه الأمثلة ليست هي كل ما قد قيل أو يقال في هذا الباب وإنّما هي أمثلة لتوضيح الصورة بشكلها العام موكلين تشخيص المصاديق الخاطئة بالتأويل إلى نفس المؤمن فمن تلك التأويلات:

ما ظهر في الآونة الأخيرة كتابات وحركات إعتمدت المنهج التطبيقي لعلامات وشخصيات الظهور ولها مسميات متعددة وتضاربت فيما بينها إلى حد تكفير بعضهم للبعض الآخر كما نجد ظاهرة ما يُسمى باليماني فقد وجدنا وجود جماعتين تُسمّي نفسها بأصحاب اليماني وتُعبّر كل مجموعة عن المجموعة الأخرى بأصحاب اليماني الدجال وعندما نريد أن نتعرف على منهجهم نجدهم قد بنوا ادعاءاتهم على أساسين:

فكان **الأساس الأول**: هوإفتراض أننا وأنهم

نعيش عصر الظهور لإدعاء أنّ هناك ظهوران، الظهور الأول يسبق الظهور الموعود الذي يظهر به الإمام (عج) ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

ولا نجد في الروايات الشريفة التي تحدّثت عن ظهور الإمام المهدي (عج) نصوصاً صريحة لهذا المُدّعى مثلما أنهّم لم يجدوا ولم يعثروا على مثل تلك النصوص ولذلك رجعوا إلى طريقة التأويلات والتخرصات وقد تلونت وأضطربت تأويلاتهم في هذه المسألة بالخصوص فمنهم من زعم أن الظهور الأول يكون في الكوفة بينما يكون الظهور الثاني في مكة متأولين روايات ظهور الإمام المهدي في مكة بأنها تتحدث عن مكان ولادة أمير المؤمنين عليهم السلام وأن هذا المكان هو النجف بإعتبار أن أمير المؤمنين موجود في النجف.

وأنت خبير بأن هذا التأويل لا يمكن أن يكون مقصوداً في تلك الروايات التي نصت على أنَّ الظهور للمولى (عج) يكون في مكة ولا يوجد تشابه بين القضيتين.

ومن التخرصات ما إدعاه بعضهم وهم الجماعة التي تُسّمي نفسها بجماعة قاضي السماء أن الظهور الأول يكون من الكوفة بقيادة الكرعاوي معتمدين على رواية سنية مرسلة شاذة في كتاب عقد الدرر للسلمي ذكر أن المهدي يظهر من قرية كرعة .

وبغض النظر عن إرسال الرواية وضعفها فإنها شاذّة لم يذكرها أحدٌ من علماء الشيعة في روايات علامات الظهور كما أنها تتحدث عن قرية إسمها كرعة وهي تقع في اليمن... فأين هذا من مُدعّاهم؟!

وهناك من إدعّى تعدد الظهور بدون تطبيق حالي

وإنما تركوا القضية على عمومها لأجل أن يستفيدوا منها في الوقت الذي تسمح لهم الفرصة في المستقبل القريب أو شبه القريب.

ولا توجد حقيقة بهذا الصدد إلاّ ظهورٌ واحد يبتدأ في مكة ثم ينتقل الإمام إلى المدينة المنورة ثم يسمع السفياني فيتحرك بجيشه إلى المدينة المنورة فينتقل الإمام إلى مكة المكرمة.

هذا هو الموجود في الأخبار ولا يوجد ظهور آخر غيره ولو أنَّ هذه الأحاديث التي تتحدث عن التفصيلات فيها مجال كثير للنظر من حيث البحث في أسانيدها أو في أنها ليست من المحتوم فيمكن أن يشملها التبديل والتغيير كحال باقي القضايا المتعلقة بالظهور التي جاءت في علامات الظهور ووقائع الظهور.

والأساس الثاني: أنهم يعتمدون على تأويلهم لأحداث الظهور بالإعتماد على أن الشخص الأول الذي يظهر هو اليماني وهو الذي سوف يُمَهد للمهدي علي رأي البعض منهم.

وقد وجدنا كلماتهم قد إختلفت في هذا المقام فمن أولئك أصحاب البدع من زعم أن اليماني هو الذي يتصل بالإمام (عج) بالغيبة الكبرى وزعموا أن شخصاً إسمُه أبو عبد الله الحسين القحطاني هو ذلك الرجل ولكنهم خذلهم الله تعالى انتهت دعواهم بنهاية يمانيهم فقتل هذا الرجل المزعوم الذي إسمه الأصلي (حيدر مشتت) في منطقة المنصور من بغداد، وبهذا خمدت أنفاس دعواهم؛ ولكن بما أن إبليس يُربي أتباعه فإنه أوحى لهم بأن هذا الرجل سوف يعود في الرجعة وجمعوا تخرصاتهم في كتاب لهم سمّوه

بكتاب الرجعة.

وبغض النظر عن التفاصيل التي ذكروها فإنَّ مشكلتهم العلمية تقع في أنه لا يوجد أحد من العلماء كما لا توجد رواية تقول أنَّ اليماني يظهر ثم يموت ثم يرجع وإنّما كُتبَ هذا السيناريو بإيحاءات شيطانية إبليسية فرضتها الظروف عليهم بموت صاحبهم الذي كانوا يزعمون أنه كان متصل مباشرة بالإمام المهدي (عج).

كما توجد جماعة أخرى إدعت في البداية بأنَّ اليماني هو الذي يخرج قبل المهدي ويُمّهد الأمور له ويتصل به ثم تطورت الدعوى عندهم فزعموا أنَّ اليماني هو رسول المهدي وهو إبنه ثمّ ودرءاً لبعض الإشكالات فقد زعموا بأنَّ اليماني هو رسول المهدي وإبنه غير المباشر وبينه وبين المهدي أربع ظهور، ثمّ بعد

ذلك زعموا أن اليماني رسول المهدي ووصيه ووزيره، ثم بعد ذلك وجدناهم يُصرّحون في كتاباتهم بأنَّ اليماني هو المهدي نفسه.

وكانت تحدث هذه التطورات كلما أُثيرت حولهم مناقشات وإشكالات فيُطورا فكرتهم بالشكل الذي يظنون أنهم يستطيعوا أن يتخلصوا من تلك الإثارات والإشكالات إلا أنهم وقعوا بإثارات وإشكالات جديدة فيُحاولون أن يتخلصوا منها بتطوير فكرتهم وهكذا كان الإنحراف عندهم بحقيقة اليماني فلا يصلوا برؤاهم إلى قرار.

وهذه المشكلة الإنحرافية إعتمدت على أنَّ اليماني هو بيت القصيد للظهور بينما لم نجد أحداً من علمائنا السابقين أنه قد إهتّم بمسألة اليماني أو كتب عن اليماني لأنَّ الحديث عنه جاء ضمن روايات قليلة جداً.

وأنه يتحرك ضمن دائرة سياسية وجغرافية محدودة لا يختلف كثيراً عن شخصيات صالحة تُعاصره مثل الخراساني وشعيب إبن صالح والحُسيني والحسني.

فما صنعه أولئك المنحرفين من تصورات عنه هو من نسج خيالهم الذي يتلائم مع مشاريعهم السياسية والنفعية الخاصة بهم، وإن نسبوه إلى الروايات وإلى الدين فهي نسبة باطلة لا أصل لها.

ولم ينحصر الإنحراف في تطبيقات علامات الظهور بهاتين المجموعتين وإنما يمكنه أن يكون في جماعات مستقبلية أو حاضرة آخرى ولكنها جميعها تتحرك بمنهج واحد هو التطرف بفهمهم لرجال أو شخصيات أو أحداث الظهور أو إستخدام ما هو موجود في كتب الغيبة لأغراض إستخباراتية عالمية

تُطبخ في تلك المصانع التي تصنع الوجودات التي تخدم الأغراض الأجنبية تحت غطاء مُحترم أو مقدّس من المقدسّات الدينية وهو بالضبط ما وجدناه في مسألة محمد بن عبد الوهاب الذي هو صنيعة الإستخبارات البريطانية والذي تجدد بعد ظهور داعية في بداية القرن العشرين وتأسيسه للمذهب الوهابي.

وكذلك ما وجدناه في القاديانية والبهائية وغيرها من الوجودات المنحرفة والتي ربما يذكر البعض منها ظاهرة البابية في القرن الثالث عشر الهجري في إيران وتطورها إلى أن أخذت صورتها الأخيرة في البهائية.

وهناك جماعات عاصرناها في خلال هذه السنوات الثلاثين الماضية إنقرضت أو كادت أن تنقرض حملت صوراً متشابهة من حيث المضمون وإن إختلفت من حيث الشكل والصورة فقد رأينا تلك

الجماعة التي سلبت عقول أتباعها وجعلتهم يتحركون ضمن دائرة الإنحراف بدعوى أنهم يتبعون لشخص يدعي أنه ابن الإمام المهدي (عج) المباشر وله أخوة ثلاث من كبار أتباعه وهم أيضاً أبناء الإمام المباشرين ... إلى آخره من خزعبلاتهم التي كُشِفَت وظهروا على حقيقتهم أمام جمهورهم مما جعلهم يغيرون أشكالهم ويتلبسون بدعاوى أُخرى جديدة قد تكون بظاهرها صالحة ولكن الله تعالى وحده هو العالم بما يجول بخواطرهم وضمائرهم.

وعلى أي حال فإنّ هذه المجموعات قد أخذت أحجامها التي يمكنها أن تأخذها ولم تستطع البقاء أو التوسع أكثر مما هي عليه لأسباب قد تكون غيبية قد حكم الله سبحانه وتعالى بحفظ دينه بقوله سبحانه وتعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

وقد ذكر في هذا الخصوص أن هذا المعنى هو المقصود من قول النبي صلى الله عليه وآله : (حسين مني وأنا من حسين) بإعتبار أنَّ دم الحسين عليه السلام هو الذي أدام مشروع النبي صلى الله عليه وآله بدوام دينه الإسلام العظيم.

وبغض النظر عن ما تنشره الدوائر المتخصصة بكشف الجاسوسية وأعمالها من خفاياها السرية فإنّ التشابه بين المُدّعيات المعاصرة والمُدّعيات التي ظهرت في القرن السابق والذي قبله توضح أن هذه المدعيات لم تنشأ من أسباب نفسية أو دينية فقط، وإنما يقف وراءها مخططون أمنيون يتحركون بمنهج واحد ولهذا يمكن للإنسان وبشكل واضح أن يحس بيد الإستخبارات البريطانية التي تُحرك هذه الدعوى المهدوية أو تلك الدعوى اليمانية وغيرها مما تشترك في

الطريقة الواحدة.

ولا نقول بأنَّ السبب الإستخباراتي هو الوحيد في هذه الدعاوى فهناك أسباب إنحرافية أخرى كما كانت هناك أسباب إنحرافية سابقة في التأريخ الأول للإسلام يمكن أن توضح عناوين الإنحراف من خلال الدوافع والدواعي الفكرية والنفسية المختلفة.

ولهذا لا يمكننا أن نقول بأنَّ باب الإنحراف في هذا المجال المهدوي قد أُغلق بظهور هؤلاء المدعين وكشف زيفهم ، وإنما نقول بأنَّ الباب يبقى مفتوحاً بظهور مثل هذه الدعاوى المنحرفة ونقول أيضاً بأنَّ الدائرة التي سوف يظهر ويعمل فيها المنحرفون والمستقبليون سوف تكون دائرة ضيقة أيضاً تتناسب مع الظروف والملابسات التي تسمح لهم مع الحركة.

نعم أن هناك فترة سُميّت في الروايات بزمن

الفتن هي فترة حرجة من تأريخ الأُمة المسلمة بشكل عام وهي تسبق مرحلة الظهور وقد نبّه الأئمة عليهم السلام عليها وخوّفوا منها كما أنهم عليه السلام قد رسموا لأتباعهم كيفية التخلص من الفتن وهذا ما سوف نتحدث عنه إن شاء الله في حلقة قادمة.

المناهـج
التطبيقية المعاصرة

وبإستقراء أصحاب الطرق والأساليب المستخدمة في تطبيقات علامات الظهور وجدناهم ينقسمون إلى صنفين:

الصنف الأول: وهم الذين تعاملوا في تطبيقاتهم بأسلوب الليونة والإحتمال والأمل وهؤلاء سوف يدخلون تحت عنوان (الأمر الثاني) ما ذكرناه في الحلقة السابقة المتقدمة بعنوان تطبيقات علامات الظهور وسميناهم (بأصحاب النوايا الطيبة) ولكنّهم يختلفون عن أولئك بأن أولئك كانوا يُحاولون أن يتشبثوا بتطبيقاتهم على نحو الجزم واليقين أما هؤلاء فإنهم يتركونها في دائرة الإحتمال والرجاء.

وهذه الطريقة لم يرفضها علماؤنا الأبرار قدس الله نفوسهم الزكية وإنما ربما نهجوا هذا المنهج أحياناً بالتعامل مع روايات علامات الظهور ولكننا نؤكد أن

هذه الطريقة لم تحظى بالتفرغ التام أو التأكيد الكلي من قبل أحد من علماء السلف الصالح فلم نجد في كتب شيوخ الطائفة كالكليني والصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي كتاباً لأحد هؤلاء الأساطين إختص بتطبيقات علامات الظهور كما لم نجدهم قد إهتموا بتلك العلامات ؛ أو فصلوًّا الحديث والكتابة حولها ؟ بل إنهم وإن ذكروها فقد جعلوها مذكورة ضمن الحديث عن الإمام المهدي (عج) وإن كان أحدٌ منهم أراد أن يخصص لعلامات الظهور فصلاً أو باباً خاصاً فقد وجدنا الإيجاز سمة لذلك الباب ولذلك الفصل لا يحتوي إلا على عدد قليل جداً من روايات علامات الظهور مما يورث الجزم بأن سيرة السلف الصالح كانت تتعامل مع علامات الظهور على هذه الطريقة فحسب، وإن بقي الباب مفتوحاً ولكن بما

يتناسب مع هذه الطريقة الإحتمالية الثانوية.

الصنف الثاني: أولئك الذين حاولوا أن يطبقوا علامات الظهور على ما يتخيلوه هم بأنها من المصاديق لها والتطبيقات لها مع أننا لا نشكك في نواياهم الظاهرية (والله تعالى وحده هو العالم بما تخفيه قلوبهم) وقد وجدناهم في السنين الأخيرة قد تحولوا إلى حالة أشبه بأصحاب الفأل والمندل يعرضون القضايا التي تحدث في الظهور ومرحلة التهيئة للظهور جازمين بأنها هي المقصودة في الروايات التي تحدّثت عن علامات الظهور مما يعكس واقعاً نفسياً على السَّذج والبسطاء من العامة (المقصود من العامّة هنا المصطلح الفقهي وهم غير المجتهدين والفضلاء من طلاب العلم فيدخل في المصطلح من لم يدرس العلوم الدينية كسائر الناس ومن درس ولكنه في بدايات الطريق ولم يحصل على

مرتبة من مراتب النضوج العلمية).

فيتصورون أنها حقيقة ولا نقصد التركيز على ذكر الكتّاب بأشخاصهم فنحن أبعد ما نكون إلى التعرض لأحد من الناس وإنما نناقش خطأ المنهج الفكري وعدم مطابقته لأصول البحث العلمي أو تعارضه مع منهج السلف الصالح من علمائنا الأبرار، وقد وجدنا أن أصحاب هذا المنهج لم يتفقوا على رأيٍّ واحد في تحليلاتهم التي جزموا على وقوعها وتطبيقها على الأحداث الواقعة على علامات الظهور فمثلاً عندما يذكرون من الروايات ما تتحدث عن معركة قرقيسيا نجد أن أحدهم يُفسرها بأنها معركة بين الخرساني وبين السفياني بينما؛ يُصرّ الأخر أنها معركة تكون بين السفياني وبين الأتراك وهكذا نجدهم يختلفون في معركة إصطخر وتحديد مكانها بينما يبقى الإشكال

في أصل وقوع هاتين الواقعتين من حيث صدورها عن المعصومين عليهم السلام ... والأمثلة في ذلك كثيرة لا تّحصى بهذه العُجالة؛ وقد وجدنا أن بعضهم يُطبق أسماءاً على أشخاصٍ يزعم أنه يعرفهم وأنهم موجودون على رؤوس قوى عسكرية في المنطقة مثل الأصهب والأبقع بل والسفياني نفسه والذي يزعم أن أسمه ينطبق مع إسم أحد حكام الدول العربية والحاليين ، وهكذا نجده عندما يتكلم عن شعيب بن صالح ويزعم أنه (من عرب إيران من بني تميم)، ولا مرجع له في هذا الإعتقاد إلا قناعته التي نشأت من خلال الحدس والتخمين الذوقي والإستحسان النفسي بعيداً عن المناهج العلمية البحثية.

وهكذا ما نجدهُ عند البعض من القطع والجزم بأن المقصود من اليماني هو رجلٌ من أهل العراق ثم

يُحاول أن يستدل على زعمه بذكره بعض الروايات التي تحّدثت عن اليماني وأنه من أهل اليمن ويتصور أنه قد فندّ هذه الروايا ت بتعبيره أنها غير صحيحة وموثوقة ومعتبرة وعليه فهو يصرّح ويقول بإنّ (كون الرجل من اليمن صعبة المنال، ولربما دونها خرط القتاد بل أن منشأ الوهم الذي جعل بعض الكتاب والباحثين ينسب الرجل إلى اليمن تحديداً هو إما روايات عامية أو روايات ضعيفة سنداً ومضطربة متناً أو روايات لا نستطيع الإعتماد عليها لمجهولية مصدرها) ويتصور أنه بهذه الطريقة قد فند يمانية اليماني وكأنه جاء بالعنقاء .

وهل يحتاج إنسان لقبه (البصري) إلى دليل ليثبت أنه بصري ؛ وهكذا البغدادي فهل يتصور أحد أنه يحتاج إلى دليل يثبت أن البغدادي من أهل بغداد، وهكذا الكلام في الكوفي؟!

وهل للألقاب المنسوبة إلى المناطق والأماكن والمدن معنى هو غير النسبة إلى المدن؟!

فمن الطبيعي أن الإنسان الذي يسمى أو يلقب باليماني أنه من أهل اليمن؛ ولهذا فلم يُناقش هذا الشخص ولا غيره في كون أن الخراساني أنه من أهل خراسان وإنما ذكر أنه من المسلمّات من أهل خراسان ؛ والأدهى أنه يحاول أن يُثبت أن اليماني من أهل العراق بأدلة ترجع جميعها إلى المشتهيات التي يتصورها هو بإعتبار أن (المراد بلفظ اليماني معنى آخر غير المعنى المكاني مما يجعل الحمل على المعنى المكاني من الأخطاء الشائعة) والصحيح في رأيه أن اليماني (يحمل على كل من له صفة اليمن في عمله وسلوكه ووجوده، وبالنتيجة يُحمّل اللقب على صفة أعمال الرجل، لا على صفة إنتماءه الجغرافي ... ولكن لكثرة اليمن

والموفقية في عمله يُشار إليه باليماني).

وبدون مناقشة لتفصيلات هذا الموضوع البديهي فإنه من السذاجة جداً إثبات أن المقصود من اليماني هو أن يكون من غير أهل اليمن، وأما من كان من أهل اليمن فإنه يحتاج إلى كونه يماني إلى دليل وبرهان من الروايات، وهل هذا إلا اختلاق؟!

ولا نحُب أن نُطيل بالتفاصيل وإنما ذكرناها كشواهد توضح أصول المنهج غير العلمي الذي سار عليه هؤلاء مما يُحرف بالنتيجة أهداف وأغراض الأئمة عليهم السلام بذكر هذه العلامات وإعطائها إلى أشخاص وجهات آخرين ولربما يحتاج المؤمنون إلى تشخيصات أخرى لخطأ التطبيقات التي زعمها أولئك لكننا نكتفي هنا في هذه الحلقة بهذا المقدار معتمدين على فطنة القارئ وألمعيته بتشخيصه أخطاء

التطبيق الأخرى.

ولربما يقول أولئك المحلّلون بأننا لا ندّعي بأن ما توصلنا إليه هو من الدين وداخل تحت عنوان تقويل المعصومين عليهم السلام وإنما ننسبه إلى أنفسنا وإن كنا نعتمد بما توصلنا إليه على روايات نجد لها مصاديق خارجية حسب فهمنا وزعمنا فسوف لا يكون للنقد المتقدم سلطة علينا.

والحق أنهم سوف يكون لهم موقف آخر غير الموقف السابق وسوف يكون حالهم كحال العرافين والمتنبئين وأصحاب الفال والمندل الذين يمكنهم أن يتحدثوا عن أشياء كثيرة قد تقع وقد لا تقع فإن هؤلاء في فسحةٍ من عملهم غير الديني وسلطة للإشكال المتقدم عليهم ولكن يبقى هذا التحليل والتضمين ضمن شروطه الموضوعية والتي يُمكن أن ننبه إلى

بعضها كما يلي:

أ ـ أن يصرح بأن هذه التحليلات إنّما هي إستحسانات شخصية لا تمت إلى أهل البيت عليهم السلام والدين بشيء.

ب ـ أن هذه الأستحسانات حالها كحال التحليلات السياسية التي نجدها عند المحللين السياسيين فإنها قد تخطيء وقد تصيب.

ج ـ أن يبتعد أصحابها من محاولة حشر الروايات في تحاليلهم لئلا يقع اللبس في نفوس السذج فيتصوروا أنها من الدين وهي ليست من الدين.

وعلى هذا الأساس سوف تكون قيمة هذه النتائج كقيمة النتائج التي يحصل عليها المحللون كما إنها سوف تختلف من شخص إلى شخص بمقدار ما لديه من قوة قراءة المستقبل السياسي للأحداث وهو بالفعل

ما نجده في الحياة النظرية السياسية فإن قوة المواقف السياسية تعتمد غالباً على قوة قدرة القائد السياسي لقراءة مُستقبل الحدث من خلال الملامح والقرائن التي تتجمع عنده.

وهذا شيء يختلف كلّياً بين الأرض والسماء عن الدعوة المطروحة من قبل الكتّاب والمتحدّثين المُعاصرين عن روايات علامات الظهور.

علامـــات
الظهور التي تحققت

لا إشكال في أنّه هناك مجموعة من العلامات التي ذُكِرت في روايات أهل البيت عليهم السلام قد تحققت عِبرَ هذا التأريخ الطويل من زمن صدورها إلى يومنا الحاضر فمنها الرواية التي تحدّثت عن نهاية بني أمية وإختلاف بني العباس وذهاب ملكهم كما في الرواية التي رواها الشيخ النعماني في الغيبة[٣] بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (يقوم القائم عليه السلام في وتر من السنين: تسع ، واحدة، ثلاثة، خمس).

وقال: (إذا اختلفت بنو أمية وذهب ملكهم. ثمّ يملك بنو عباس فلا يزالون في عنفوان من الملك، وغضارة من العيش حتى يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم، وأختلف أهل المشرق وأهل المغرب؛ نَعَمْ وأهل القبلة، ويلقى الناس جهد شديد

(٣) الغيبة / الشيخ النعماني ص ٢٦٢ ، الباب ١٤ ، الحديث ٢٢.

مما يمّر بهم من الخوف، فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي مناد من السماء ، فإذا نادى فالنفير النفير ، فو الله لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس بأمر جديد .... الحديث).

والرواية التي تحدّثت عن مقتل محمد ذو النفس الزكية على أحجار الزيت في المدينة المنورة فكان المقتول هو محمد إبن عبد الله إبن الحسن إبن علي إبن أبي طالب عليه السلام الذي قتل على أطراف المدينة عند أحجار الزيت ومنها الروايات التي تحدّثت عن إختلاف بني العباس والإنشقاق فيما بينهم ونهاية دولتهم.

وقد جاءت بروايات عدة حاول بعض المعاصرين أن يفسرها ويأولّها برجال يظهرون في آخر الزمان يزعم أنهم المقصودون بآل العباس؟! وربما يدخل تحت

هذا العنوان ما روي في بعض الأخبار عن أبي مسلم الخراساني وأنه من العلامات كما في الخبر الذي رواه الشيخ ابن شهر آشوب في كتابه الشريف مناقب آل أبي طالب، قال : (قبلّ رجل رأس أبي عبد الله عليه السلام، فمسَّ أبو عبد الله عليه السلام ثيابه وقال: ما رأيت كاليوم أشدَّ بياضاً، ولا أحسن منها، فقال: جعلت فداك، هذه ثياب بلادنا وجئتك منها بخير من هذه، قال: فقال : يا معتب ! اقبضها منه.

ثم خرج الرجل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدق الوصف وقرب الوقت، هذا صاحب الرايات السود الذي يأتي بها من خرسان.

ثم قال: يا معتب ! الحقه فسله عن أسمه. ثم قال: إن كان عبد الرحمن فهو والله هو .

قال: فرجع معتب، فقال: اسمي عبد الرحمن.

قال: فلما ولي ولد العباس نظرت إليه، فإذا هو عبد الرحمن أبو مسلم)[٤].

إشارة إلى ما ورد في جملة من الروايات المروية عن النبي صلى الله عليه وآله أن من علامات الظهور خروج الرايات السود من خراسان.

ومنها الروايات التي تحدّثت عن غزو المغول للعراق وثبات سلطانهم وقوتهم جاء ذلك في روايات كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله بوصفه لهم وجوههم كالمجان المطرقة مع ما يحدثونه من الدمار؛ وقد ذكر العلامة الحلي قصتهم بنحو عام على ما كتبه في كتابه الشريف نهج الحق وكشف الصدق[٥]، وهو يتحدث عن أخبار أمير المؤمنين عليه السلام بالمغيبات: (... وأخبر بعمارة بغداد، وملك بني عباس، وأحوالهم،

(٤) مناقب آل أبي طالب ج١١، ص٢٨٩ ، الطبعة المحققة: (زكار ابن أبي زكار الواسطي).

(٥) ص٢٤٣.

وأخذ المغول الملك منهم. وبواسطة هذا الخبر سلمت الحلة، والكوفة، والمشهدان من القتل في وقعة هولاكو، لأنه لما ورد بغداد كاتبهُ والدي والسيد ابن طاووس، والفقيه ابن أبي المعز، وسألوا الأمان قبل فتح بغداد، فطلبهم، فخافوا، فمضى والدي إليه خاصة، فقال: كيف أقدمت قبل الظفر؟

فقال له والدي: لأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أخبر بذلك؛ وقال: أنه يرد الترك على الأخير من بني العباس، يقدمهم ملك يأتي من حيث بدأ ملكهم، جهوري الصوت، لا يمر بمدينة إلا فتحها، ولا ترفع له راية إلا نكسها، الويل، الويل لمن ناوأه، فلا يزال كذلك حتى يظفر).

من جملة تلك العلامات ما ورد في بعض الأخبار من انعقاد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد الذي تحقق

فعلاً. وهكذا علامات أخرى كثيرة وإن وردت بطرق وأسانيد ضعيفة وعامية لكنها تحققت على كل حال.

فهذه الحقيقة تثبت أنَّ هناك علامات للظهور ذكرت في الروايات وقد تحققت قبل ظهور الإمام المهدي (عج) مما يولد السؤال التالي : إذا كانت هذه علامات للظهور فكيف يمكن القول بوقوعها وتحققها وأنَّ الإمام (عج) لم يظهر ؟ ألم يكن هذا تناقض؟

ومما لا ريب فيه الإلتزام بالقول بأنَّ في هذه الصورة تناقضُ بين الأمرين **أولهما**: أن المذكورات من علامات الظهور.

وثانيها: مع الإلتزام أنها من علامات الظهور فلم يظهر ـ حسب التصور الذي يرى ضرورة الملازمة الآنية والفعلية بين تحقق علامة الظهور وبين الظهور نفسه كما هو المتبادر لأذهان الكثير من المؤمنين

المنتظرين لظهور الإمام المهدي (عج).

ولكن وكما بيّن المحققون من أعلام الطائفة المُحقة الشيعة الإمامية في محله أنَّ هذا التصور ساذج وغير صحيح ولم يستند على أساس علمي تحقيقي ولم تعضده الروايات الشريفة وإنما كان صنعه من تخيلات المؤمنين بهذا التصور قد إنساقوا وراءه بدوافع الإستعجال للظهور أو بتخيلاتهم السطحية أنَّ بين علامات الظهور علاقة كعلاقة العلّة والمعلول فكلّما كانت العلّة كان المعلول من الحرارة والنار، فالنار علّة لوجود الحرارة ولذلك فإنه كلما وجدت النار وجدت الحرارة وهكذا فكلما وجدت الحرارة النارية وجدت النار لأنَّ أحدهما لا ينفك عن الآخر ولكنّ علاقة علامات الظهور بالظهور ليست كذلك فلم تكن العلاقة علاقة العلة بالمعلول وإنما صُنعت العلاقة

بينهما على أساس الدلالة الإلتزامية المنطقية بمعنى أنَّ ظهور هذه العلامات وتحققها يُلازم ويستلزم الظهور المنتظر بغض النظر عن المطابقات الأخرى من قبيل وحدة الزمن والشروط الأُخرى المفروض توفرها بين العلة والمعلول ولتوضيح هذه الفكرة ... قد ثبت في الفلسفة أنه لابُدَّ من تحقق وحدة قضايا معينة بين العلة والمعلول دائماً مثل أن يكون بينهما سنخيّة، يستحيل أن تكون علّة لمعلول ليس من سنخه مثل أن نقول أنَّ الحجر علة لولادة الجمل والناقة إلا إذا غير الله سبحانه وتعالى هذا القانون المادي في الطبيعة ولكن الله تعالى يقول [إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ] وما حدث لنبي الله صالح في القدرة على أن يُخرج الناقة وفصيلها من حجر الجبل إنما كان خارقاً للنواميس الطبيعية ولذلك سُميت هذه العملية مُعجزة فإذا كان شيء علة لشيء

فمعناه أن يكون بينهما سنخيّة.

ومن الشروط أيضاً بين العلّة والمعلول أن يكون بينهما وحدة زمن فعندما تكون حركة اليد للقلم علةٍ الكتابة فمعناها أن الكتابة تحققت في زمن فعل الحركة وهذا أمرٌ ثابت ولكنه نسبي حسب الفور والتراخي بين العلّة وتحقق معلوله خارجاً وإن كان فلسفياً أنه يتحقق المعلول بمجرد تحقق علته وإلا فإنه لا يمكن تصور أن تسمى العلّة علّة إلا بعد تحقق معلولها وأمّا إذا لم تكن العلاقة ناشئة عن علّة ومعلول وإنما كانت إتفاقية كالملازمات العادية المذكورة في الفلسفة فإنه لا يشترط في تحقق العلاقة أي شرطٍ من شروط العلاقة بين العلة والمعلول.

وهكذا بالنسبة للعلاقة بين علامات الظهور والظهور فإنه لا يُشترط لها أن تتحقق العلامات فيتحقق

الظهور فلربما تتحقق العلامة ولا يتحقق الظهور كما أنه قد يتحقق الظهور قبل أن تتحقق العلامة لأنَّ العلاقة بينهما علاقة إتفاقية وليست علاقة علّية وقد يعبر عنها أيضاً بالإستلزامات العقلية.

فإنه يمكن أن تكون العلامة قد تحققت قبل الظهور على نحوين:

النحو الأول: بأن يُقال أنه كان هذا الحدث علامة في الروايات ولكن قد جرى القضاء والبداء فانفكت العلاقة بينهما.

والنحو الثاني: يُقال بأنَّ الروايات لم تقل بأنَّ الظهور سوف يكون مباشرةً بعد تحقق العلامة وإنما سوف تكون العلامة مقدمة على الظهور بغض النظر على مقدار المدة الزمنية التي سوف تكون بعد ذلك.

كما أنَّ هناك تصور آخر لمسألة علامات الظهور

فيقول هذا التصور أنَّ العلامات قد أُخذت لا بكونها دالة وكاشفة عن الظهور وإنما أُخذت لأسباب تربوية كما ذكرناها في حلقة سابقة واستندنا إلى الرواية الشريفة المروية عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال لعلي بن يقطين: (الشيعة تربى بالأماني منذ مائتي سنة)[٦].

وربما يستفاد من هذا الحديث أنَّ مقصود الأئمة عليهم السلام في تلك السنين من ذكر علامات الظهور هو تربية شيعتهم بطريقة الأمل والرجاء ليتحملوا عسر الدهور والأحوال.

ومهما تكون الدوافع بذكر علامات الظهور فمما لا ريب فيه أنهم كانوا لا يفترضون في تلك العلامات أنها لا بُدَّ أن تتحقق ولهذا نبّهوا على دخول البداء على تلك العلامات وقد لا تتحقق بعض تلك العلامات ابداً كما أنها قد تتحقق ولا يظهر الإمام المهدي (عج) في

(٦) الكافي، ج١، ص٣٦٩.

تلك الفترة وإنما سوف يظهر حتماً وبغير أي أشكال وعلى نحو القطع واليقين والجزم في آخر الزمان وأجمل حوار مروي هو ما جرى لأبي هاشم داود بن القاسم الجعفري قال: كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فجرى ذكر السفياني وما جاء في الرواية من أنَّ أمره من المحتوم ، فقلت لأبي جعفر عليه السلام: هل يبدو لله في المحتوم؟

قال: نعم.

قلنا له: فنخاف أن يبدو الله في القائم؟

فقال عليه السلام : إن القائم من الميعاد، والله لا يخلف الميعاد)[٧].

هذا كُلّه على نحو العلامات التي تحققت في طيات التأريخ الماضي والتي كان لا يشترط علماؤنا المحققون أن تكون تلك العلامات قريبة زمنياً لظهور

(٧) الغيبة، النعماني، ص٣٠٣، الباب ١٨ ، الحديث ١٠.

المولى (عج) ولكن هناك حديثٌ حول تحقق بعض العلامات القريبة من ظهوره (عج) وهي والواردة في الأحاديث التي تتحدث عن أخر الزمان الذي يكون ملاسقاً بلا فترة من الزمن لعصر ظهور الإمام المهدي (عج) ولهذا الزمان الذي هو آخر الزمان صفات وردت في بعض الروايات الشريفة والمُعبّر عنها بالفتن وزمان الفتنة حيث يعسر الخلاص ويشتد التمحيص ويكثر الإبتلاء والإمتحان ولا يُعَرف أيٌّ من أي.

فهل تحقق هذا الزمن أم لم يتحقق؟

وإذا كان قد تحقق فما المدة الباقية منه وما هو تكليف المؤمنين فيه؟ هذا ما يُلزمنا أن نتحدث عنه من خلال معرفة زمن الفتن وهو في حلقة قادمة تحت عنوان (عصر الفتن) إن شاء الله تعالى.

عصـــر الفتـــن

الفتنة قانون كوني إلهي من قوانين الحتمية الإلهية في بناء الحضارة وتكوينها تُفسّرها النظرية الدينية الإسلامية بأنها عنصر الإمتحان والتمحيص الذي يتطور بنتيجته الكيان الحضاري للأمة سلباً أو إيجاباً بمعنى أنَّ الأمة إذا خرجت من الإمتحان والفتنة منتصرة على ذاتها وعلى التناقضات الداخلية فإنّها تخرج من الإمتحان بقوة كبيرة قادرة على تطوير ذاتها بالكمال والإرتقاء والتقدم والمُعبّر عنه في علم الإجتماع بمُصطلح (تطور الحضارات) وبعكسه لو خرجت الأمة خاسرة في الإمتحان والتمحيص عندما لم تستطع أن تجابه المحن والفتن وتستجيب بدواع الراحة الأني والمصلحة الوقتية والفوائد الفردية لبعض أفرادها فإنها سوف تؤثر سلباً على تطور حضارتها وترجع قهقرائياً إلى الوراء.

وفي القانون الإلهي أنَّ الأمة ونقصد بها (الكيان الحضاري المسؤول والفاعل) محكومة بالإرادة واللاإرادة بمجابهة الإمتحان والتمحيص ولم ينحصر هذا الإمتحان بفترة زمنية من فترات تأريخ البشرية، أو تأريخها بشكل عام؛ بمعنى أنَّ هذا الإمتحان ليس من خصوصيات الأمة المسلمة والمتدينة وإنما هو إمتحان لجميع الأمم المؤمنة بالله وغير المؤمنة بالله ولكن شرط الإنتصار الحضاري والتطور الحضاري هو أن يكون الفعل المحرك لذات الأمة والموصل إلى الإنتصار هو الحركة الجوهرية الذاتية للأمة المرتبطة بالله سبحانه وتعالى فلا يمكن لأمة أن تنتصر إلا إذا تحركت بقطبية حركتها نحو الله سبحانه وتعالى والمعبر عنه بقوله تعالى: [قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ](٨) وفي قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا

(٨) سورة سبأ/ الآية ٤٦.

الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ][9].

وللإرادة شرط آخر في تطوير الأمة فستكون الأمة التي لا تريد أن تدخل في الإمتحان والصراع مع الذات ومع الطرف الآخر أمة خاسرة حضارياً وإن قد يستشعر أفرادها أو بعض أفرادها بأنهم يعيشون نشوة الإنتصارات في ظواهر الصراع وهو بالضبط ما يحسُّ به الطرف الآخر من الأمم الخاسرة حضارياً لبعدها عن الله تعالى وإن كانت تُشير الظواهر إلى أنَّ هذه الأمم مُنتصرة مدنياً وأمنياً وعسكرياً كما نشاهد الوضع الحضاري الذي تعيشه الأمم الغربية في واقعنا المعاصر.

وهناك قانون آخر من قوانين التطور الحضاري في النظرية الإسلامية الشيعية تقول بأنَّ هناك أمة مترابطة بوحداتها ضمن كيان الأمم البشرية المختلفة الألوان والإتجاهات على مدى طول التاريخ الإنساني من بدايته

(٩) سورة الإنشقاق / الآية ٦.

إلى إنتهاء دوره في الأرض بقيام القيامة وهذه الأمة الواحدة موجودة من زمن آدم إلى يوم القيامة قال تعالى: [إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ] (١٠) وهي الأمة المؤمنة.

ومن بنود هذا القانون الإلهي الحضاري أنّ هذه الأمة كانت لها أدواراً تأريخية في تطورها إبتدات في زمان الأنبياء عليهم السلام وتطوّرت في مراحل أنبياء أولي العزم عليهم السلام وختمت مراحل التطور الحضاري لهذا الكيان للأمة بخاتمية محمد صلى الله عليه وآله.

وقد إستطاعت هذه التطورات الحضارية للأمة أن تؤثر على العقل الحضاري للأمة كمجموع متجسد في كيانها كأمة ويحمل ويتجسد هذا الكيان في الكُمَّل من أفرادها مثل العلماء والزُهّاد والمفكرين والصالحين

(١٠) سورة المؤمنون / الآية٥٢.

من أبناءها، فإنّك إذا أردت أن تعرف الكمال والتطور الحضاري للأمة المؤمنة فستجده بما يكتنزه الكُمَّل من أبناءها الصالحين، ولهذا كان يعتمد البرنامج التربوي على طرح هؤلاء الكُمَّل القدوة لباقي أفراد الأمة ليتطوروا بتطور هؤلاء الكاملين.

وكان القانون الحضاري الديني هو أن مرحلة الخاتمية المحمدية صلى الله عليه وآله تمر بمراحل إثني عشر تُختَتَم هذه المرحلة بالرقم الثاني عشر والمُعَبرّ عنها بإصطلاح (مرحلة خاتم الأوصياء) وهو الإمام المهدي (عج) المولود سنة ٢٥٥ هـ وسوف يكون لهذا الإنسان الكامل دور الفعل الحضاري لرفع المستوى المثالي للأمة الموحدة المؤمنة والتي يتجلى في مرحلته النهائية تحقق الإرادة الربانية بتحقق الكيان الذي أراده سبحانه وتعالى بقوله مخاطباً ملائكته: [إِنِّي جَاعِلٌ فِي

الأَرْضِ خَلِيفَةً].

ومن أركان هذا القانون الالهي أنَّ شرط التطور هو الإمتحان والتمحيص والإبتلاء.

وكلما كانت مراحل التطور الحضاري متقدمة فإنه يشير العداد إلى أنها (أي: الأمة بتطورها الحضاري) وصلت إلى النهاية؛ كما تحتم حسب النظرية الإلهية أن يكون الإمتحان أصعب وأشد وأقصى.

وفي النظرية الشيعية الإجتماعية للتطور الحضاري أنَّ نهاية المسيرة للأمة الموحدة تنتهي بظهور المهدي (عج)، فحينئذٍ سوف يكون الإمتحان الأصعب هو إمتحان آخر مرحلة من مراحل التطور الإنساني الذي يسبق مرحلة الظهور وهذا ما أشارت إليه النصوص الشريفة عن المعصومين عليهم السلام التي تحدّثت عن الإمتحان والتمحيص قبل الظهور.

وقد وجدنا النصوص الشريفة قد تحدثت عن تفاصيل هذا الإمتحان والتمحيص وما سوف يحدث إنعكاسات سلبية بين أفراد الأمة الواحدة المؤمنة وما سوف يتكالب عليها من الأمم الأخرى من وقوع الجور والحيف..

١ـ فإنَّ بعض معالم هذا الإمتحان يُشخص غريبيَّة العقيدة التي تُحرِّك الأمة في كمالها وهو الإسلام كما نصّت الروايات في ذلك عند الشيعة والسنة من جملتها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

(الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)[١١].

٢ـ وإن الأمم الأخرى في الطرف الآخر من الصراع الحضاري سوف تتكالب على هذه الأمة المؤمنة كما

(١١) الغيبة للنعماني ص٣٢١ـ٣٢٢.

في النص (تتداعى عليكم الأمم في آخر الزمان).

٣ـ وقد ذكرت الروايات الشريفة بعض مظاهر هذا التمحيص أنَّ الفتنة هي فتنة الدين كما في النص المروي عن معمر بن خلاد قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ثمَّ قال لي: ما الفتنة؟

فقلت: جعلت فداك؛ الذي عندنا أن الفتنة في الدين.

فقال : يُفتنون كما يُفتن الذهب.

ثم قال: يخلصون كما يُخلصَ الذهب[١٢].

٤ ـ كما تحدثت النصوص عن فتنة آخر الزمان من جملتها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في حديث طويل يتحدّث عن آخر الزمان:(لابُدَّ للناس أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا ويخرج من

(١٢) الغيبة للنعماني ص٢٠٢ .

الغربال خلقٌ كثير)[١٣].

وما روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:(لا يكون الأمر الذي تنتظرونه حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويتفل بعضكم في وجوه بعض، ويشهد بعضكم على بعض بالكفر ويلعن بعضكم بعضاً، فسأله الراوي قائلاً له ما في ذلك الزمان من خير.

فقال الحسين عليه السلام: الخير كلَّه في ذلك الزمان، يقوم قائمنا، ويدفع ذلك كله)[١٤].

وروى منصور عن الإمام الصادق أنه قال لهُ عليه السلام يا منصور! إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياس؛ ولا والله حتى تميزوا؛ ولا والله حتّى تُمّحصّوا؛ لا والله حتّى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد[١٥].

---

(١٣) الغيبة للنعماني ص٢٠٥.

(١٤) الغيبة للنعماني ص٢٠٦.

(١٥) الكافي ج١ ص٣٧٠.

ويبقى الحديث عن توقيت هذا العصر الذي سميناه (عصر الفتن) فمتى يكون؟

والسؤال الثاني: كم ستطول هذه المدة؟

إن الجواب عن هذين السؤالين يدخل ضمن الحديث عن الغيب فإنه من أحاديث الغيب الذي لا يمكن لأحد أن يقطع ويُجزم وإنما يعرفها من حيث الوجهة العامة والإحتمال والظن والتخمين بل أنَّ هناك بعض النصوص منعت التوقيت فإنَّ الدخول في المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الظهور سوف يبقى مجهولاً بشكله التفصيلي وإن كان هناك من إمارات وإحتمالات على معرفته وهذا موضوع يُبحث عنه تحت عنوان (توقيت الظهور) وليس في هذه الحلقة.

ولكن مما لا إشكال فيه إننا نعيش حالياً بالمرحلة الأخيرة في وقت قبل الظهور بغض النظر عن

التفصيلات التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

وقد ظهرت في عصرنا الحاضر مظاهر الفتن في الدين المتنوعة وعودة الإسلام غريباً والشدة في داخل البيت الديني الواحد وربما في داخل الدائرة الأخص وهي دائرة المذهب الواحد وهذه الفتن المتنوعة التي لم نرها ولم نسمع عنها من قبل قد تكالبت وتجمعت مما يلزم المؤمن أن يتحرى عن الطريقة التي ينجو بها من الفتن ويتخلص من شراك إبليس وأعوانه بعيداً عن الخوض في ما قد يوقعه في بعض أفخاخها. (ومن أراد الإستزادة عن معرفة فتن آخر الزمان فليرجع إلى كتاب (الحيرة في الغيبة الكبرى).

المهدي الحي

في الكتب القديمة أشكل الرافضون للعقيدة المهدوية الشيعية الإمامية بإشكال كرره بعض المعاصرين بنفس الإسلوب القديم ولكنهم يختلفون عن أولئك بالمضمون والدوافع التي تختفي وراء الإشكال.

فأولئك القدماء كان الكثير منهم يُريد أن يُجيب عن سؤال مطروح عندهم ضمن سلسلة الترتيب بالإستفهامات العقائدية البحثية، فأجاب عليهم عُلماء الشيعة بالأجوبة الفصل التي بأن بها الحق من الباطل فلم يبقى أمام اللاحقين من المتأخرين إلاّ أن يُراجعوا تلك الأجوبة ليعرفوا الحقيقة.

ولكنهم بدوافعهم التي تمتلئ حُباً للباطل وتَنّكراً للحق والحقيقة وكي يشوشوا على المغفلين والسذج ويُضيعوهم في متاهات وضلالات طرحوا إشكالهم كما يلي:

إذا كان هناك رجلٌ هو الإمام المهدي فلماذا بقي غائباً لم يظهر، وما هي الفائدة من وجوده إذا كان هو غائباً؟

ونحن لا نريد في هذا المجال أن نصحح العقيدة بوجوده وحياته عليه السلام لأننا نكتب هنا لمن يعتقد بأنه موجودٌ وحي.

وأما من لا يعتقد بذلك فليرجع إلى ما كُتب في غير هذا المكان إن كان طالباً للحقيقة وأما إذا لم يكن طالباً للحقيقة فنحن بمنئى عن خزعبلاته فلطالما تشدق المستهزئون باستفهامات (مُجاب عليها) لرسول الله صلى الله عليه وآله ...

وكفى الله رسول الله صلى الله عليه وآله المستهزئين [إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ][16].

أما هنا فنحن نتحدث عن العقيدة الشيعية عن

(١٦) سورة الحجر / الآية ٩٥.

المهدي الحي فنقول:

يختلف الإمام المهدي عن باقي الأئمة عليهم السلام في حياتنا المعاصرة أن الإمام عليه السلام معاصرٌ لنا بينما لم يُعاصرنا أحدٌ غيره من باقي الأئمة عليهم السلام وإنما عاصروا أجدادنا الذين عاشوا في حياتهم وفي تلك العصور.

وفي هذا الإختلاف نلاحظ الإتحادٌ بين جميع الأئمة عليهم السلام بأنهم أئمة للأحياء ولهذا يعتقد الإمامية بأنه هناك رابطٌ محكم وقوي ووثيق جداً بين الإمام والمعاصرة، فكل الأئمة كانوا أئمة لمن عاصروهم وقادوا الحياة.

واليوم فإن الإمام المهدي الحي هو إمام لمن يعاصره على طول الخط الزمني الذي عاشه ويعيشه بينما نجد أن جميع المسلمين الآخرين وبلا أستثناء

يعيشون الإمامة بعيدة عن الحياة والمعاصرة، فأئمتهم جميعهم أموات سواء على المستوى العقائدي أو الفقهي لأنهم يعتقدون عقيدياً بأبي الحسن الأشعري إن كانوا أشاعرة وبأئمة الإعتزال واصل وعمرو بن عبيد والقاضي عبد الجبار وكلهم قد ماتوا.

وأئمتهم بالفقه أربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وكلهم قد ماتوا أيضاً، فلذلك كانت عقيدتهم وفقههم بلا حياة فيها لأن أئمتهم أموات فحسدونا على عقيدتنا فأثاروا شبهة حاولوا أن يلبسوا بها على من لا عقل له ولا حياة له.

وعندما يعتقد الإمامي بحياة المهدي عجل الله فرجه فإنه يعتقد أن هذا المهدي مذخور لليوم الأكبر الذي يَغيرُ على الباطل فيزُهقه ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

ويعتقد الإمامي أن هذا اليوم الموعود لا يعرفه

أحد من الناس وبقي سراً في اللوح المحفوظ يمكنه أن يكون في أي يو م الإنسان الحي، فقد يكون ظهوره في غدٍ أ وبعد غدٍ أو بعد شهر أو بعد سنة أو ألف سنة مما يعدون.

ويعتقد الإمامي أن هذا الظهور أمله وغايته ولذلك فمن عقيدته أنه يعيش دوماً هذا الأمل بما يمكنه أن يملأ حياته أملاً وسعادة ويبعدها عن اليأس والخمول والكسل حيث يكون الأمل حركة وفكراً وعملاً.

وفي عقيدة الإمامية أن الإمام المهدي عجل الله فرجه لا يظهر إلى بعد أن يجد الأنصار المتميزين كماً وكيفاً والذي يقدر أن يحقق بهم مشروعه في تغيير العالم.

فما لم يجتمع هذا (العقد) فإنه سو ف لا يظهر وإذا اجتمع هذا (العقد) فإنه سو ف يظهر إن شاء الله تعالى.

أما مَن هو الذي يصلح هذا الجمع ويجمع هذا (العقد)؟

هنا يختلف الناس في تفسيراتهم وإجاباتهم على أنحاء متعددة نرى أن جميعها تنحاز إلى أحد جانبين:

الجانب الأول:

وفيه ألوانٌ من الناس؛ فهناك البعض الذي يرى أنّ عليه في فترة غيبة الإمام عجل الله فرجه أن يجلس في دور العبادة، أو في منزله يدعو الله عز وجل بالفرج للإمام، ويتوقع أولئك أنه وبإسلوبهم العبادي وشدة تضرعهم لله تعالى يمكنهم أن يخرجوا الإمام من غيبته فيشهر سيفه ويقوم بعملية تبديل الأرض، وهناك جماعة يرون أن الأمر لا يعنيهم ولا يدخل في حياتهم وليس عليهم إلا أن يعتقدون بوجود الإمام الحي وينتظرونه حتى يحين يوم الظهور، فإن صادف في حياتهم فقد

تحقق ما كانوا يأملون وإن لم يتحقق هذا الأمل وماتوا قبل ظهوره فإنهم قد ماتوا ميتة إيمان وليست ميتة جاهلية وخرجوا عن اللعنة التي شملت من لم يعرف إمام زمانه (من لم يعرف إمام زمانه مات ميته جاهلية)، فإذا رأوا منكراً فليس عليهم أن يغيروه لأنهم ليس من مهتمهم التغيير، وإنما هو من مهمة الإمام الغائب، بل ربما بعضهم يقف موقفاً قوياً أمام من يريد أن يغير وقد يكون من هؤلاء ممن قرأ الفقه فيستدل بما ورد (كل راية ترفع قبل قيام القائم فهي راية ضلال)، ومن هؤلاء من ينحى منحاً أخطر عندما يدعوا الناس إلى المنكر بحجة أن المهدي لا يظهر إلا إذا أمتلآت الأرض ظلماً وجوراً، فما زالت لم تملئ جوراً فالمهدي لا يظهر.

فعليه، وإنه من أجل أن يظهر المهدي فلا بد من أن يمتلئ الأرض ظلماً وجوراً حتى وإن أدى ذلك إلى أن

تدعوا إلى الظلم والجور (نعوذ بالله تعالى).

إن جميع أطراف هذا الجانب يشتركون من الفقه الآخر بالطرف المقابل بقضية موت الإمام وإن إختلفوا معهم بأن أصحاب هذا الفكر هم يعتقدون بحياته ولكنه حسب فهمهم معطل لا وجود له في حياتنا.

والجانب الثاني:

يعتقد أن علينا أن نمهد لظهور المهدي عليه السلام ونستعد لذلك اليوم عملاً بقوله تعالى [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ][17].

فهذا النص يلزم المكلفين جميعهم بالإعداد والإستعداد لظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف ولأننا قد قرأنا في تفسير قول الله عز وجل الذي جاء معبراً عن تمنيات النبي لوط عليه السلام عندما قال

(١٧) سورة الأنفال / الآية ٦٠.

لقومه [لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ][18] الذي روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (ما بعث الله نبياً بعد لوط إلا في عز من قومه)[19]، وقد روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام : (ما كان قول لوط [لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ] إلا تمنياً لقوة القائم عجل الله فرجه، ولا ذكر ركن إلا شدة أصحابه، لأن الرجل منهم يعطى قوة أربعين رجلاً وإن قلبه لأشد من زبر الحديد، ولو مروا بجبال الحديد لقطعوها ولا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله عز وجل) كمال الدين.

فالعقيدة الشيعية تؤمن أن المهدي لا يظهر إلا بقوة أصحابه حتى لا تكرر المأساة التي حدثت مع أجداده المعصومين عليهم السلام في السقيفة

---

(١٨) سورة هود / الآية ٨١.

(١٩) تفسير القمي ج١.

والمدينة والكوفة وكربلاء لأنهم عليهم السلام لم يجدوا العدد الكافي من الأصحاب المتميزين بنوعية قواهم الفكرية والتربوية والجسمية لذلك لم يتمكنوا من الإنتصار المادي وإن تمكنوا حقيقة في تثبيت أسس أعمدة بناء التغيير الكبير للبشرية الذي سوف يتم على يد آخرهم وهو الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وبترتيب المقدمات فإن الشيعي المهدوي يكون دائماً صاحب هدف كبير في الحياة، وهذا الهدف هو تغيير العالم الذي يكون في دولة الإمام.

وبما أن هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود البناء والصرح القوي والكبير الذي يمكنه أن يمهد لظهوره فلذلك كان هذا الإعتقاد محركاً له نحو تحقيق هذا الهدف.

إننا نعيش المعاصرة مع الإمام بكل معانيها حتى

قد يغفل المهدوي وهو في عصر الغيبة عن الإحساس بحقيقة عدم إمكان الوصول الجسمي للمهدي عجل الله فرجه، وذلك لشدة شعوره وإحساسه بحضوره عليه السلام في حياة المهدوي حتى وإن كان الوقت وقت غيبة.

وهذا ما نشاهده واضحاً في حياة الفقهاء عندما يأخذون الخمس وهو من حقه الخاص عليه السلام، ويوزعونه على الفقراء والمحتاجين والمشاريع الدينية والإجتماعية والتي يحفظ بها كرامة الإنسان. . .

يفعل كل ذلك تصدقاً عن المهدي عجل الله فرجه، ونجد فقهاء الإمامية في عصر الغيبة يقومون بكل الأدوار اللازم أن يقوم بها الإمام لو كان حاضراً، لأنهم يشعرون بواجبهم النيابي العام بهذا العمل.

ولذا لا يفكر أحد منهم أن يتهاون في هذا الواجب أو يتركه لأنه سوف يكون مستحقاً للعقاب الإلهي.

وكم لاحظنا وشاهدنا وسمعنا من أركان الفقه وفقهاء الطائفة رؤيتهم ليد الغيب المتمثلة بألطافه عليه السلام وهي تمسح على تلك الأعمال التي يقومون بها، بل يرونه حاضراً دائماً كحضور رئيس الدولة الذي يستشعر به كل الموظفين في الدولة والذين لم يرونه بجسمه إلا من خلال شاشة التلفاز.

المهدي الحي هو عقيدة الشيعة ، فهو لم يكن مجرد فكرة وعقيدة ذهنية وإنما الحياة للمهدي يعني أن يكون موجوداً في حياتنا ومؤثراً فيها.

ولأجل أن يكون موجوداً في حياتنا أن نعد له العدة ونستعد دائماً وأبداً لإستقباله في أي ساعة ظهر

ولا يمكن تحقق هذه المقولة إلا إذا رفع شعار [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ] ومحاولة بناء الصرح، الدولة، الكيان القادر على رعاية هذا الإعداد.

مرحلة
قبل الظهور

هل أنَّ ظهور الإمام المهدي عليه السلام يأتي مُفاجئة وبدون سابق إنذار كبعض الأحداث الثورية والإنقلابات التي تحدث بعكس التحليلات السياسية التي تُعاصره؟

أم أنَّ هناك مرحلة مُمَهدة للظهور وإنَّ الظهور ينتج عن جُهدٍ إجتماعي يمتاز بخصوصياته قبل أن تُعلَم أو تبتدىء مرحلة الإمام المهدي المنتظر (عج)؟

عندما نقرأ الروايات التي تتحدّث عن ظهور الإمام المهدي عليه السلام فُجأة وتُشَبّه الظهور مثل الساعة، الكلمة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ

يَعْلَمُونَ][20].

وفي الأخبار المروية عن الأئمة عليهم السلام أنّهم قالوا (إنّ هذا الأمر يأتي بغتة؛ كما في الخبر الذي رواه الصدوق في كمال الدين[21] بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول: أنشدت مولاي الرضا علي بن موسى عليه السلام قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومهبط وحي مقفر العرصات

فلما أنتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج
يقوم على أسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل
ويجزي على النعماء والنقمات

(٢٠) سورة الأعراف / الآية ١٨٧

(٢١) كمال الدين / الشيخ الصدوق / ص٣٧٢ـ ٣٧٣، الباب ٣٥ ، ح ٦.

بكى الرضا عليه السلام بكاءاً شديداً، ثم رفع رأسه إليّ فقال (لي): يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين ، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم؟

فقلت: لا يا مولاي إلاّ أني سمعت بخروج إمام منكم يُطهِّر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً.

فقال: يا دعبل، الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد إبنه علي، وبعد علي إبنه الحسن، وبعد الحسن إبنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز وجل ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

وأما متى فإخبارٌ عن الوقت، وقد حدثني أبي، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام أنَّ النبي صلى الله

عليه وآله قيل له: يا رسول الله ! متى يخرج القائم من ذريتك؟

فقال صلى الله عليه وآله: (مثله مثل الساعة التي[لا يُجَلِيها لِوَقتِها إلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَموات وَالأرضِ لا تَأتِيكُمْ إلاَّ بغْتَةَ][٢٢])[٢٣].

ومن خلال الفَهم العام لهذه الروايات قد فَهم البعض بالإجابة على هذا السؤال أنَّ الظهور يكون بدون سابق إنذار وبشكل مفاجيء لأنه لا يمكن أن يتصور البغتة والفجأة إلاّ بهذا المقدار ولكن بعد المطالعة الدقيقة والتدبر الدقيّ في الروايات التي تتحدث عن كراهة التوقيت والمنع منه بالإضافة إلى قراءة الروايات التي تتحدّث عن سبب الغيبة وأنها كانت من دواعيها الخوف على الإمام عليه السلام من

(٢٢) سورة الاعراف / الآية ١٨٧.

(٢٣) كمال الدين / الشيخ الصدوق / ص٣٧٢ـ٣٧٣، الباب ٣٥،ح٦.

القتل وإنَه لا يظهر إلاَ بقوةَ وَمَنعَة . .

أنَّ الجمع بين هذه الأخبار يكشف حقيقة أنَّ الموضوع أكبر من أن يُفهم بتلك البساطة والسذاجة من معنى (الفُجأة) و(البَغتة) فإنَّ الفجأة تستلزم مُقدمات لظهورها وحدوثها وإن كانت هذه المقدمات لا تنطق صراحة بالنتيجة التي وصلت إليها الأمور؛ ولنضرب لك مثلاً في قضية الثورات المُفاجئة فإنها وإن كانت أحداثاً بدت وللوهلة الأولى أنها فاجئت الجمهور بإعلان الإنقلاب ولكن هذا الحدث سبقته المقدمات المهيأة والممهدة لهذا الإنقلاب سواءاً على المستوى الجماهيري والضغط الذي إستخدمته الحكومات والإرهاب والعنف والقسوة والسجون والقتل وكذلك الأوضاع الإقتصادية وتفشي البطالة مع غلاء الأسعار وشحة الطعام وغير ذلك من الأساليب

الضاغطة على الجمهور الذي يؤدي به هذا الضغط إلى الإنفجار الثوري والإنقلاب على الحكومة من أجل أن يتخلص من هذا الضغط ولربما لم يتبادر الى ذهن الجماهير مسألة إسقاط الحكومة وإقامة نظام حكم جديد ولكن الأمور قد تخرج عن السيطرة وإذا بها تصل إلى المفاجئة بالتغيير الجذري للنظام بعدما كانت في البداية الإحتجاجات مطلبية ثم صارت إصلاحية، وهذا الحدث قد يُسّمى حدثاً مفاجئاً ولكنه بالواقع نتج عن مقدمات أوصلته إلى هذا المستوى من قوة الحدث.

وهكذا لو تصورنا المسألة في الإنقلاب العسكري فإنه يحتاج إلى القادة الإنقلابيين والتجمع الإنقلابي العسكري من الضباط والمراتب والجنود ويحتاج إلى إعداد خطة الإنقلاب وإذا بالحدث يُعلن بواسطة أجهزة الإعلام بطريقة مفاجئة يستمع الجمهور ودون

سابق إنذار إلى البيان رقم واحد .

وهكذا هو الموضوع في مسألة الظهور فإننا نعلم ونجزم بأنَّ الأمور لا تحدث بطريقة ساذجة دون مقدمات مُسبقة وإنما يحدث الظهور بعد تحقق المقدمات للظهور مع بقاء عنوان الفُجأة والبَغتة للظهور بمعناه التفصيلي لتحديد يوم الحدث وطريقة الظهور على نحو القطع والجزم واليقين بحيث يستحيل على أحد أن يعلم يوم الظهور أو بطريقة الظهور أو سنة الظهور مع إبقاء إحتمال الظهور موجوداً فإنَّ الفُجأة المُتصورة هو أنَّ التوقعات التي يتوقعها الناس قد لا تؤهلهم لتصور حدوث الظهور لما يعتري الناس حالة اليأس الذي يُصيبهم نتيجة الضغوط السلطوية التي يمارسها أعدائهم عليهم وتمكن الأعداء من رقابهم وقد أخذوا بأطراف الأرض حتى ليُخيّل إلى عباد الله الصالحين أنَّ

سلطان الظالمين مُستدام لقوته وشدته وهذا ما قد نجده في القانون السماوي الذي عبّرت عنه الآيات الكريمة مثل قوله تعالى [حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ] فإنَّ اليأس الذي يغلب على الجماهير المؤمنة قد يكون هو المفتاح العلّي والطبيعي للنصر في القانون الإلهي.

ولا نقصد من اليأس هو ما يحدث عند الإتكاليين والإنهزاميين من حالات الشعور بالخوار والضعف السلبي المؤدي إلى الهزيمة والإنكسار؛ وإنّما المقصود من ذاك اليأس هو أنَّ القوانين الطبيعية عاجزة عن تحقيق النصر مع أنَّ الإيمان بالله تعالى يُلزِم المؤمنين أنَّ النصر دائماً معهم فييأسوا من تحقيق النصر إعتماداً على عدم وجود فرصة طبيعية عسكرية على تحقيقه فتفرغ نفوسهم من كل أمل وطموح موجود بين أيدي الناس وتمتليء قلوبهم بالأمل الإلهي الموعودين به بعدما تنفذ

لديهم جميع الطرق العملية والطبيعية التي سلكوها من التضحية والإيثار والجهاد وحينئذٍ تأتي كلمة الله تعالى بنهاية الصراع بين الحق والباطل وهو النصر.

فالظهور (هو النصر الموعود) يأتي بعد طول المعركة وإحتدام الصراع بين الحق والباطل ونفاذ جميع الأساليب التي إتخذها المؤمنون بالمعركة حتى يصلوا إلى نهاية المعركة التي ينتظرون بها الأمل الإلهي الموعود.

وحسب هذه الأطروحة الدينية السماوية فإنَّ للظهور مُقدمات ومرحلة تسبق الظهور وهذه المرحلة يحتدم الصراع بين الحق والباطل.

ومعنى إحتدام الصراع يلزم أن يكون الحق له قوة ومَنعة يُمكنه أن يكون بها في وسط المعركة وأما إذا لم نتصور أنَّ للحق قوة ومَنعة فحينئذٍ لا يمكن أن

نتصور أن الحق طرف بالصراع وإنما لا يوجد إلا طرف واحد فلا يوجد صراع.

وهذه المرحلة التي يحتدم فيها الصراع يكون للمؤمنين قوة ودولة وإن كانت تعيش مرحلة من مراحل الإضطهاد ولكنها تحمي أبنائها المؤمنين بعد أن جمعتهم تحت ظلها وفيئها ونحن لا نتصور وجود ظروف مناسبة للظهور مع عدم وجود قوة ومنعة للمؤمنين قبل الظهور لأنَّ الإمام عليه السلام لو أراد أن يظهر في مثل تلك الظروف الخاوية والضعيفة التي لا تمتلك قوة ولا دولة للزم أن يظهر في مقدمة الزمن لا أن يُؤخَر الظهور لأنه لا معنى للتأخير بإعتبار أنَّ التأخير صادرٌ من الله تعالى لتحقيق الأرضية التي يستطيع بها الإمام عليه السلام أن يتحرك ويؤسس بها دولته الإلهية فإذا قُلنا بأنَّ الإمام عليه السلام سوف يؤسس دولته بدون

الحاجة لهذه الظروف المساعدة لقيام دولته وإنّما هو بنفسه القدسية يوجد تلك الظروف ويُحققها فسوف نوكل الأمر كله إلى شخصه الشريف وحينئذٍ يوجب العقل على الإمام عليه السلام أن يظهر من البداية ليقطع دابر الظالمين ويؤسس كيان العدل والحق ولا يجوز أن يؤخره لما يستلزم من التأخير الفساد وإنتشار الظلم لأننا قد أولكنا كل الأمور إليه عليه السلام.

ولا أتصور أنَّ هناك إمامي يقول بهذه المقولة الباطلة وإنما إتفق الجميع على أنَّ تأخير نهضته خارجٌ عن إرادة المولى عليه السلام وأنه مُنتَظر لتحقق الظروف التي تُساعده على إنتصاره في نهضته وثورته وهو ما عَبّرت عنه الروايات من أنه عليه السلام يظهر في مَنعة من أصحابه وقد ذكَرَت أنَّ من تلك الظروف أن يُبايعه ثلاثمائة وثلاثة عشر من الصالحين في مكة المكرمة في

المسجد الحرام وأن ينصره عِقدٌ وقد فسّرت الروايات العِقد عشرة آلاف وهذا يحدث في المدينة المنورة.

وهنا يأتي الكلام في الحديث عن هذه المرحلة المُمَهدة لظهوره عليه السلام فإننا نقول بصراحة ووضوح أنَّ هذه المرحلة التي تسبق ظهوره وتبتديء في عمق التأريخ من قبل ولادته عليه السلام وتنتهي بساعة ظهوره صلوات الله وسلامه عليه وهي مرحلة لها أدوار كثيرة كان من جملتها الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى وكانت للغيبة الكبرى مراتب ومراحل مرت بها الأمة وتطورت الأمة المؤمنة جيلاً بعد جيل نتيجة لما مرّ عليها من الإختبارات والإمتحانات حتى وصلت إلى ذروة النضوج العقلي (الجماعي الذي هو مُقابل الفرد) في العصور الأخيرة من تاريخ الأمة المؤمنة.

وتبقى آخر فترة التي هي مرحلة قبل الظهور والتي

يُمكننا أن نُسميها بالتمهيد للظهور مجهولة المدة الزمنية بالإنتهاء فهل سوف تطول أيضاً فتُعد بآلاف السنين أو تَقصر فتكون بالسنوات المعدودة أو الأشهر أو الأيام؟

إنَّ الجواب مهما جاء واضحاً واثقاً به صاحبه فإنّه يبقى ضمن دائرة الظنون والإحتمالات ولا يُمكن لأحد أن يُجزم ويَقطع بشيء لأنه سوف يتناقض مع القانون الذي ذكرناه سابقاً وهو: أنَّ الظهور فجأة وبغته.

وقد قلنا سابقاً أنَّ الممنوع هو : (الجزم وإدعاء اليقين والقطع بأنَّ الظهور سوف يتحقق في السنة الكذائية والعلامة الكذائية).

وأما إذا كان القول على نحو (الإحتمال) فهو جائزٌ وممكن لأنه داخل تحت منطقة المسموح به من التخمينات وذلك لأنه لا يُسّمى توقيتاً وإنّما هو تخمين وظن ليس إلاّ؛ وعلى ضوئه فسوف تبقى قضية

(الفُجأة) و(البَغتة) قائمة متحققة.

ومن هنا يُمكننا أن نستفيد من الرواية التي تتحدث عن موت عبد الله المروية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم ثم قال: إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد، ولم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله. ويذهب ملك السنين، ويصير ملك الشهور والأيام..)[٢٤].

فإنَّ التصريح واضح بالمدة الباقية لظهوره عليه السلام بعد موت عبد الله حيث يذهب ملك السنين ويصير ملك الشهور والأيام.

فهذه العلامة لو تيقنا بتحققها فسوف تكون المدة الباقية للظهور أقصر زمناً مما يتوقعه الإنسان.

ولكنَّ المشكلة تبقى قائمة في تحديد المقصود

(٢٤) الغيبة / الشيخ الطوسي / ص٤٤٧ ـ الرقم ٤٤٥.

مَن (عبد الله هذا) ولا يمكن الجزم على أحد الملوك المعاصرين وإن كان للتخمين والظن والإحتمال مجال كبير يُمكن وضعه كأمل ورجاء ولكن يبقى أنه لا يرتقي إلى مستوى الجزم واليقين.

ومن تلك العلامات قتل ذو النفس الزكية وهو غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام بخمسة عشر يوماً فقط وهذه العلامة لو تحققت فعلاً على نحو تطبيقها تطبيقاً فعلياً جازماً فإنّها سوف تكون من المُدد القصيرة التي تُحدد فترة ظهوره عليه السلام.

وسوف نجد في بحث العلامات المتتالية التي يُفترض أن تظهر في سنة ظهوره عليه السلام أنّها علامات مترادفة زمنياً من ظهور السفياني وإنتصاره ونزول المطر وإحياء الموتى الذين يرجعون إلى الدنيا

بعد تلك المطرات الأربع والعشرين والصيحة في السماء ليلة القدر الكبرى في شهر رمضان والخسف في البيداء بجيش السفياني وقتل النفس الزكية بين الركن والمقام ثم خروج المولى عليه السلام.

فإنَّ هذه العلامات سوف تتحقق في آخر المرحلة المُمَهدة للظهور وقد تُحدَد في كل علامة المدة الزمنية المتبقية للظهور؛ ولكنها هذه العلامة منحصرة في سنة الظهور فحسب بينما نبحث حالياً عن الفترة المتبقية لتحقق تلك العلامات وهي فترة مجهولة المدة بلا أي إشكال.

ولكن بتتبع روايات علامات الظهور المتحدثة عن الأزمنة للظهور يمكننا أن نُكوِّن تصوراً عاماً يَصلُح أن يرسم إطاراً لهذا التصور قد يُلمح إلى أننا ومن مدة قريبة نعيش هذه النهاية لفترة ما قبل الظهور من خلال

قراءة روايات (الموطئون للمهدي سلطانه) وهذا ما نتحدث عنه في حلقة قادمة إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

المحتويات

المحتويات

- خريطة عصر الظهور.....١١
- تطبيقات علامات الظهور ١ .....٢٧
- تطبيقات علامات الظهور ٢ .....٥٣
- المناهج التطبيقية المعاصرة ٧٣
- علامات الظهور التي تحققت.....٨٧
- عصر الفتن.....١٠٣
- المهدي الحي.....١١٧
- مرحلة قبل الظهور.....١٣٣